مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص ٦٢١-٦٦٨، (ربيع الثاني ١٤٤١هـ/ ديسمبر ٢٠١٩)

التشكيل الجمالي للصورة الأدبية في شعر جبيهاء الأشجعي

أ . د . عادل نصورة محمد التمساحي

كلية التربية بالزلفي – جامعة المجمعة – المملكة العربية السعودية

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – مصر

ملخص البحث: يهدف البحث إلى محاولة الوقوف على إجابة مقنعة للآتي: ما ملامح التشكيل الجمالي لصور جبيهاء الشعرية، وما أثرها في النهوض بغاياته وأهدافه، وما أثر البيئة والأبعاد النفسية والثقافية فيها، وما مدى مقدرته وتمكنه من أدوات فنه، وما الأسباب الكامنة وراء قلة نتاجه، مع جودته، وحقيقة وصف بعضهم له بأنه شاعر خبيث اللسان ؟ وقد سلك البحث المنهج الفني في خطة تكونت من المقدمة وفيها : أهداف البحث، ومنهجه، وخطته، وأظهر الصعوبات، وفي المبحث الأول: تعريف بالشاعر، وأبرز العوامل المؤثرة في شعره، وفي المبحث الثاني حديث عن ملامح ووظائف الصورة الشعرية عند جبيهاء، وفي المبحث الثالث نظرات نقدية في صور الرجل الشعرية، وفي الخاتمة نتائج الدراسة، ثم كانت الفهارس . وقد خلص البحث إلى أن الشاعر أجاد في التشكيل الجمالي لصوره الأدبية، البراعة في التشكيل تعكس موهبة شعرية، ، نهضت صور جبيهاء بغاياته وأهدافه، أثر بيئة الرجل في صوره الأدبية واضح، استطاع جبيهاء ببراعة أن يوظف أدواته الفنية في بناء صور مؤثرة، يلمس القارئ لشعر الرجل صورا مبتكرة، وعواطف صادقة، في بعض صور الرجل هنات زلت قدمه في إدراك مواطن الجمال فيها فجاءت مجافية للذوق.

الكلمات المفتاحية : التشكيل / الجمالي / الصورة / الأدبية / شعر/ جبيهاء /الأشجعي.

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .....

وبعد

فما زال شعر المقلين في الأدب العربي مفتقرا إلى الدرس والبحث، وكشف اللثام عن أصحابه ؛ طلبا لظواهر بارزة تعكس قدرات إبداعية للمقل، فتعطي الدراسةُ عطاء قد يسهم في إثراء الدراسات الأدبية والنقدية.

وجبيهاء الأشجعي شاعر بدوي من مخاليف الحجاز، برع في التصوير الشعري، فثار في نفس المتلقي الاستفهام عن ملامح هذه الصور، وأثرها في النهوض بغايات الشاعر وأهدافه، وأثر بيئته وملامحه النفسية والثقافية فيها، ومدى مقدرته وتمكنه من أدوات فنه .

وإدراكا لهذه الغايات ارتأى الدارس أن تكون خطة البحث كالآتي : ـ

❖ المقدمة : ـ وفيها : أهداف البحث، ومنهجه، وخطته، وأظهر الصعوبات .

❖ المبحث الأول : ـ وفيه تعريف بالشاعر، وأبرز العوامل المؤثرة في شعره .

❖ المبحث الثاني : ـ واشتمل الحديث عن المقصود بدلالة الصورة، وملامح الصورة ووظائفها .

❖ المبحث الثالث : ـ وتضمن : نظرات نقدية في صور جبيهاء الشعرية .

❖ الخاتمة : ـ وهي مسرد لأهم نتائج البحث .

❖ ثبت المصادر والمراجع .

وكان المنهج الفني هو أنسب المناهج لمعالجة قضايا البحث .

والدراسة محاولة من الباحث لسبر أغوار شعر جبيهاء الأشجعي، وغير بعيد عن القارئ صعوبة البحث في نتاج الرجل ؛ لقلته ؛ وتبعثره في عدد قليل من المصادر والمراجع المتنوعة المشارب، فإن كان التوفيق حليفه ففضل من الله ونعمة، وإن كانت الأخرى فحسبه المحاولة، وفي قابل الأيام إدراك لما فات بإذن الله تعالى .

وعلى الله قصد السبيل والتكلان.

المبحث الأول : التعريف بالشاعر

اسمه ونسبه : ـ [(١)] هو يزيد بن حميمة بن عبيد بن عقيلة بن قيس بن رويبة بن بكر بن أشجع بن غطفان، نشأ وتوفي في أيام بني أمية، ولم يتوصل دارس، على حد علم الباحث، إلى تاريخ مولده، أو وفاته، فأخباره متناثرة كغيره من المقلين في الأدب العربي، غير أن القوم قد أجمعوا على أنه بدوي من مخاليف الحجاز .

لقبه : ـ جبيهاء، وقيل : جبهاء، و جبها، وجبيها، وكلها تدور حول صفة خَلقية اتسم بها الرجل، وهي : سعة الجبهة وحسنها، جاء في لسان العرب : ـ " الجَبَه : مصدر الأَجبَه، وهو العريض الجبهة، وقال الجوهري : وبتصغيره سمي جبيهاء الأشجعي .

صفاته : ـ وصفه الآمدي فقال : ـ شاعر خبيث متمكن من لسانه، ولا يوجد في شعر الرجل، الكائن بين أيدينا، ما يدل على خبثه، ولو أورد الواصف ما يؤكد وصفه لكان خيرا له، وربما دل ذلك على شعر ضائع له.

---

(١) ترجمته في : . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ١٨ صـ ٩٤، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت . عبد الكريم إبراهيم، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، صـ ٩٦، ط . دار الجيل، بيروت، ط . الأولى سنة ١٤١١هـ .= ١٩٩١ م، تصحيح وتعليق الدكتور . ف . كرنكو، وسمط اللآلي، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، جـ ١ صـ ٦٤٠، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م، ت . عبد العزيز الميمني، والأعلام، لخير الدين الزركلي جـ ٢، صـ ١١٢، ط. دار العلم للملايين، ط . ١٥ سنة ٢٠٠٢ م، والحماسة الشجرية، لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي، القسم الثاني، صـ ٩٥٣، ط . منشورات وزارة الثقافة، دمشق سنة ١٩٧٠ م، ت . عبد المعين الملوحي .

ويستشف القارئ لنتاج جبيهاء صفة أخرى تغاير ما شاع في مثل بيئته، وما تعارف عليه القوم في فخرهم، حيث يقول : ـ [٢][الطويل]

فَقُمتُ إِلَى بَلهاءَ ذاتِ علالةٍ مُعاوِدَةِ المَقرَى جَموم الأَباهِرِ [٣]

فَدَرَّت مَرّياً حالِبَيها وَأَرزَمَت إِلَى حسٍّ مَعذومٍ عَنِ الضَّرعِ فاتِرِ [٤]

فهو يطعم ضيفه اللبن، ويضن عليه بلحم المحلوبة .

وفي موقف آخر يمنح الشاعرُ أحدَهم منيحة، ثم يعجل فيطلبها بطريقة لا تتناسب وطبيعة القوم، وما اعتادوه عند الفخر، فيقول [٥] :[الطويل]

أَمَولَى بَنِي تَيمٍ أَلَستَ مُؤَدِياً مَنيحَتَنا فِيمَا تُؤَدَّى المَنَائِحُ [٦]

حياته : ـ تناثرت أخبار الرجل، وهي قليلة، فحاولت جمع شتاتها ؛ بغية الوصول إلى تصور عن طبيعتها، وأثرها في صوره الشعرية، وأظهر أخباره : أنه لم يقصد بشعره الخلفاء ولا الوجهاء، فيمدحهم وينال عطاياهم، فيشتهر أمره، بل ظل محصورا في بادية قومه لم يغادرها إلا لحاجة ؛ ويذكر صاحب الأغاني بعض مواقفه

---

(٢) الحماسة الشجرية، القسم الثاني صـ ٩٥٣ .

(٣) بلهاء : . ناقة جيدة لا تدفع يد الحالب، علالة : غزيرة اللبن، معاودة : . من عاود الشيء : جعله من عادته، المقري : . إناء أو حوض يجمع فيه الماء ونحوه ليقدم للضيف، واستعمله هنا لضرع الناقة، جموم : . كثيرة، الأباهر : . عروق تكاد تجتمع .

(٤) فدرت : . جادت بلبن غزير، مريا : . مرسلا بكثرة، أرزمت : . حنت، وهو صوت تصدره الناقة من حلقها ولا تفتح معه فاها، معذوم : .كثير العض للضرع طلبا للبن من شدة الجوع، ويقصد به هنا ولد الناقة، فاتر : . ما بين الحار والبارد .

(٥) المفضليات، للمفضل الضبي، صـ ١٦٧، ط . دار المعارف، ط . السادسة، ت . أحمد شاكر، وعبد السلام هارون .

(٦) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها. ثم كثر ذلك حتى قيل للهبة منيحة.

فيقول : ـ " قدم جبيهاء الأشجعي البصرة بجلوبة [٧] له يريد بيعها ، فلقيه الفرزدق بالمربد ، فقال : ممن الرجل ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعرا منكم ، يقال : له جبهاء أو جبيهاء ؟ قال : نعم ، قال : أ فتروي قوله :[الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ [٨]

قال : نعم ، قال : فأنشدنيها ، فأنشده قوله منها : [الكامل]

مِن بَعدِ ما بَلِيَت وَغَيَّرَ آيَها قَطرٌ وَمُسبَلَةُ الذُّيولِ خَريعُ [٩]

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأقسم بالله إنك لجبهاء ، أو إنك لشيطانه ، قال الأخفش في خبره : الخريع : الذاهبة العقل ، شبه السحابة بها لأنها لا تتمالك من المطر . " [١٠]

وتأتي عصبية الرجل وتمسكه بديار قومه على رأس الأسباب المانعة له من قصد الأمصار ، وهو ما يؤكَّد بخبره مع زوجته حين حثته على الهجرة إلى المدينة المنورة ، وبيع إبله ، والافتراض في العطاء ، ففي هذا خير كثير ، فقال لها : " أفعل ، فأقبل بها وبإبله حتى إذا كان بحرة واقم من شرقي المدينة شرَّعها بحوض واقم ليسقيها ، فحنت ناقة منها ثم نزعت ، وتبعتها الإبل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقل ،

---

(٧) الجلوبة : الإبل يحمل عليها متاع القوم .

(٨) راعت : . أفزعت وأخافت .

(٩) آيها : علاماتها، قطر : مطر، مسبلة : . سابغة طويلة، ومسبلة الذيول يقصد بها الريح المستمرة تحمل السحاب الممطر، خريع : ضعيف، يقول الأصفهاني : قال الأخفش في خبره عن أصحابه : الخريع : الذاهبة العقل، وشبه السحابة بها لأنها لا تتمالك من المطر .

(١٠) الأغاني جـ ١٨ صـ ٩٤ .

تحن إلى أوطانها، ونحن أحق بالحنين منها، أنت طالق إن لم ترجعي، وفعل الله بك وفعل "[١١].

ويعلل تمسكه بأرض قومه في قوله مخاطبا زوجته[١٢] :[الكامل]

يُحلَبُ لَكِ اللَّبَنُ الغَرِيضُ وَيُنتَزَع بِالعِيس مِن يَمَن إِلَيكِ وَشَامِ
وَتُجَاوِرِي النَّفَر الَّذِينَ بِنَبلِهِم أَرمِي العَدُوّ إِذَا نَهَضتُ أُرَامِي
البَاذِلِينَ إِذَا طَلَبتُ تلَادَهُم والمَانِعِي ظَهرِي مِن الغُرَّام

شعره : ـ جبيهاء من الشعراء المقلين، ولعل السبب راجع إلى : ـ

١ – عدم قصده الخلفاء والوجهاء مادحا، فينال عطاياهم ويشتهر أمره .

٢ – تبديه، ومجافاته الأمصار، فضاع شعره؛ لبعده عن النقاد، وأصحاب الاستشهاد، والرواة .

وعدد ما وصلنا من أبياته، أو ما استطاع الباحث الوصول إليه، ينحصر في سبعة وتسعين بيتا(٩٧ بيتا)، موزعة بين كتب الاستشهاديْن النحوي، والبلاغي، والمجاميع الشعرية، والتاريخيْن العام، والأدبي .

وهي أبيات تعكس قدرات الرجل الشعرية والتصويرية، وتبرز سعة خياله وخصوبته، وبراعته في الاستعانة بصوره الشعرية فيقصد الوصول إلى غايته من النص .

وبعض تصويره مستمد من مشاهد حسية عاشها، والآخر معتمد على صفات خيالية طلبها، فصار الأمر قريب الصلة بقصة يتمناها، وفي كل بدا حريصا على الاستعانة بأدوات تصويرية، ومؤثرات سمعية وبصرية أسهمت في إيضاح رؤيته، وإدراك غايته، وفي قابل الدراسة إن شاء الله تعالى، إيضاح وتفصيل .

---

(١١) السابق جـ ١٨ صـ ٩٥ .

(١٢) السابق جـ ١٨ صـ ٩٦ .

المبحث الثاني : ـ

ملامح الصورة الشعرية ووظائفها عند جبيهاء

تنوعت صور جبيهاء الشعرية، فتناول صفات متنوعة، وانتبه إلى دقائق شتى، متأثرا في وصفه بـ : ـ

- ❖ خيال خصب .
- ❖ امتلاك لأدوات التصوير والعوامل المؤثرة فيه .
- ❖ إلمام واضح بأثر هذه الأدوات في المتلقي .

وتطغى على صور الرجل ملامح بيئته وما شاع فيها من عادات، وما تعارف عليه أهلها من قيم .

والمتتبع لصور جبيهاء الشعرية يلمس تنوعا، وقدرة على الاستعانة بأدوات فنه للوصول إلى غايته، فقد يتخذ من التصوير وسيلة للتعريض والهجاء، ففي حديثه إلى مولى بني تيم في منيحة وهبها إياه يستشف المطالَب تهديدا ووعيدا، وتعريضا ببخله، وإخلافه لوعده، فيظهر غضبا، ويعتذر جبيهاء بأبيات ينأى التيمي عن قبولها، وينظم أبياتا فيها هجاء صريح لطالب المنيحة الذي ينبري للإجابة بالمثل، فتسيطر على الموقف ملامح النقائض الشعرية يقول جبيهاء(١٣) : [الطويل]

---

(١٣) المفضليات، المفضل الضبي صـ ١٦٧، والمؤتلف والمختلف صـ ٩٧، والأغاني للأصفهاني جـ ١٨ صـ ٩٧، وخبر الأبيات : . جاور جبيهاء في بني تيم بن معاوية بن سليم بن أشجع، فاستمنحه مولى لهم عنزا تسمى (غمرة) أو (صعدة) فمنحه إياها، فأمسكها دهرا، فلما طال على جبيهاء الأمر قال هذه الأبيات يتقاضاه فيها المنيحة .

أَمَولَى بَنِي تَيمٍ أَلَستَ مُؤَدِياً مَنيحَتَنا فِيمَا تُؤَدَّى المَنائِحُ (١٤)
فَإِنَّكَ إِن أَدَّيتَ غَمرَةَ لَم تَزَل بِعَلياءَ عِندِي مَا بَغَى الرِّبحَ رَابِحُ (١٥)

لَها شَعرٌ ضافٍ وَجيدٌ مُقَلَّصٌ وَجِسمٌ زُخارِيٌّ وَضِرسٌ مُجَالِحُ (١٦)

وَلَو أُشلِيَت فِي لَيلَةٍ رَجَبِيَّةٍ بِأَرواقِها هَطلٌ مِنَ الماءِ سَافِحُ (١٧)
لَجاءَت أَمامَ الحالِبينِ وَضَرعُها أَمامَ صَفافيها مُبد مُكَاوِحُ (١٨)
وَ وَيلمها كانَت غَبوقَةَ طارِقٍ تَرامَى بِهِ بيدُ الإِكامِ القَراوِحُ (١٩)
كَأَنَّ أَجيجَ النَّارِ إِرزَامُ شُخبِها إِذا امتاحَها فِي مِحلَبِ الحَيِّ مَائِحُ

(١٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها. ثم كثر ذلك حتى قيل للهبة منيحة.

(١٥) غمرة: اسم العنز التي منحها إياه. ويروى (صعدة). العلياء ههنا: الرفعة. أي لا تزال على رفعة مني وإكرام، لأدائك الأمانة.

(١٦) مقلص: طويل. الزخاري: الكثير اللحم والشحم، من قولهم زخر البحر: إذا طما وارتفع. المجالح: الذي يجتلح الشجر، أي يقشره، وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر للبنه في الشتاء.

(١٧) أشليت: دعيت، يعني للحلب. رجيبة: أي ليلة من ليالي الشتاء. بأرواقها: يريد بسحابها. وإنما خص الشتاء لأن الألبان تقل فيه، فأراد أنها غزيرة اللبن، يبقى على شدة البرد.

(١٨) الصافقان: ما اكتنف الضرع عن يمين وشمال إلى السرة. المبد: الذي يوسع ما بين رجليها لعظمه. المكاوح: من قولهم كاوحه إذا قاتله فغلبه. والمراد أن ضرعها يضرب ساقيها إذا تمشي.

(١٩) ويلمها: العرب تقول للرجل ويلمه، تمدحه بذلك، فهو يتعجب منها. الغبوق: شرب العشي. الطارق: من يأتي ليلا. وهي غبوقته، إذ يجد فيها شرابه حين يطرق. الإكام، بكسر الهمزة: جمع أكمة. القراوح: جمع قرواح، بالكسر، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء.

(٢٠)

وَلَو أَنَّها طافَت بِظِنبٍ مُعَجَّمٍ نَفَى الرِّقَّ عَنهُ جَدبُهُ فَهوَ كَالِحُ (٢١)
لَجاءَت كَأَنَّ القُسورَ الجونَ بَجَّها عَساليجُهُ وَالثّامِرُ المُتَناوِحُ (٢٢)
تَرَى تَحتَها عَسَّ النُّضارِ مُنَيِّفاً سَما فَوقَهُ مِن بارِدِ الغَزرِ طَامِحُ (٢٣)
سُديساً مِنَ الشعرِ العِرابِ كَأَنَّها مُوَكَّرَةٌ مِن دُهمِ حَورانَ صَافِحُ (٢٤)

رَعَت عُشبَ الجولانِ ثُمَّ تَصَيَّفَت وَضيعَةَ جَلس فَهيَ بَدَّاءُ رَاجِحُ (٢٥)

---

(٢٠) أجيج النار: صوت لهيبها. الإرزام: الصوت. الشخب: ما خرج من الضرع من اللبن. شبه أجيج النار بصوت شخبها. امتاحها: احتلبها.

(٢١) الظنب: أصل الشجرة التي ذهبت أغصانها، المعجم: الذي عجمته الإبل مرة بعد أخرى، أي عضته. الرق: ما رق من الأغصان والورق، كالح : لا ورق له إنما هو عيدان .

(٢٢) القسور: شجر يغزر به لبن الماشية. الجون: الأخضر الشديد الخضرة يضرب إلى السواد من شدة الري. بجها: عظمها ونفخ خواصرها. العساليج: جمع عسلوج، وهو الغصن الناعم. الثامر: ما له ثمر. المتناوح: المقابل بعضه بعضا. يقول: لو رعت هذه العنز ما لا يجدي على غيرها لجاءت بلبن كثير.

(٢٣) العس: القدح العظيم. النضار، بالضم والكسر: شجر من أكرم الشجر وأصلبه، تتخذ منه الأقداح. المنيف: الممتلئ. الغزر: كثرة اللبن، وهو هنا اللبن بعينه. طامح: مرتفع.

(٢٤) السديس: التي أتت عليها السنة السادسة. الشعر: جمع شعراء، وهي الكثيرة الشعر. العراب: العربية لا هجنة فيها. موكرة: ممتلئة. الدهم: السود، أراد بها الجوابي. حوران، بفتح الحاء: كورة من أعمال دمشق. الصافح: التي فقدت ولدها فذهب لبنها وسمنت.

(٢٥) الجولان: من نواحي دمشق. تصيفت: رعت في الصيف. الوضيعة: نبت. الجلس، بفتح الجيم وسكون اللام: الغليظ من الأرض. البداء: البعيدة ما بين الرجلين لسمنها. راجح: ثقيلة ممتلئة.

يستهل الشاعر صورته بتهديد وتعريض في قوله **" ألست مؤديا منيحتنا "** و **" إن أديت غمرة لم تزل بعلياء عندي "** ويتبع وعيده وتعريضه برسم صورة خيالية لـ " غمرة " يلمس منها التيمي ترفعا وتعاليا ، فمثله ليس أهلا لامتلاك هذه الهبة ، وتلك العطية .

والصورة مركبة من أربعة مشاهد أبدع الشاعر في تضافرها وتداخلها ؛ لتخرج للمتلقي صورة عنز مثالية ، وهذه المشاهد هي :

❖ المشهد الأول : ـ أبعاده حسية ، حيث الشعر الكثيف والجيد الطويل ، واللحم والشحم الكثير ، والأسنان القوية .

❖ وفي المشهد الثاني : ـ يرسم الشاعر ملامح حيوان يكثر نفعه إذا حل الشتاء في هذه البيئة القاسية ، فـ " غمرة " في الليالي الباردة يغزر لبنها ، إذا جف لبن غيرها ، ولا غرو فضرعها يدفع ما بين رجليها لكرم أصلها ؛ فيدخرها أهلها لطارق الليل من الضيفان ، حين يلتمس غبوقا يدفع به الجوع وبرد الشتاء .

❖ أما المشهد الثالث : فهو لـ " غمرة " وهي في المرعى ، ويرسم الشاعر ملامحه بـ : أشجار ذهبت أغصانها وأوراقها ؛ بكثرة الرعي ، وأرض تكاد تخلو من النبات ، وعنز كريمة الأصل تستطيع الحياة وسط هذه المراعي ❖ وفي المشهد الرابع : ـ نرى صورة حسية لـ " غمرة " وقد عادت من المراعي قليلة الفائدة ، وتهافت عليها الحلاب فأجهدوها ، ولا تزال في ذروة قوتها وشبابها ، فعمرها ست سنوات ، وشعرها طويل ، وتنحدر من أصول عربية كريمة ، وشكلها العام يرضي كل من يراها ، فهي سمينة يظن من يبصرها أنها أتت من " حوران " ، وأنها فقدت وليدها فذهب لبنها وسمنت ، ولا غرو فقد رعت عشب " الجولان " ونبت " وضيعة " في الصيف .

والصورة بمشاهدها الأربعة منتزعة من بيئة الشاعر ، متلائمة مع طبيعته البدوية ، ونظرتها النفعية إلى الأشياء ، فالمتأمل في أجزائها يراها قائمة على أساس

المنفعة المتحققة للمتحدث، حيث سره من " غمرة " كثرة لحمها وشحمها، وغزارة لبنها، وسهولة رعيها، وهي نظرة سطحية تُفقد الصورة العمق والتأمل .

ويؤخذ على الشاعر : ـ

❖ التكرار في حديثه عن شعرها، وكثرة لحمها وشحمها، دون إضافة مؤثرات في المعنى أو الصورة حين قال : [الطويل] **لَهَا شَعَرٌ ضَافٍ وَجِيدٌ مُقَلَّصٌ وَجِسْمٌ زُخَارِيٌّ وَضِرْسٌ مُجَالِحُ**

وقال :[الطويل] ـ سُدَيِّسًا مِنَ الشِّعرِ العِرابِ كَأَنَّهَا مُوَكَّرَةٌ مِنْ دُهْمِ حَوْرَانَ صَافِحُ

ولا يخفى على القارئ الأثر السيِّئ الذي أعقبه هذا التكرار حيث السطحية والملل .

❖ الافتقار إلى دقة التصوير في قوله :[الطويل]ـ

سُدَيِّسًا مِنَ الشعرِ العِرابِ كَأَنَّها مُوَكَّرَةٌ مِن دُهمِ حَورانَ صَافِحُ

حيث افتخر بأصولها العربية ثم شبهها بالدهم الراعية في حوران، ودهم حوران ليستمن أصول عربية خالصة .

ويلمس الشاعر في التيمي غضبا، فيعتذر بأبيات قال فيها [٢٦] : [الطويل]

وَمَا كُنتُ إِلَّا مَازِحَاً قَالَ مُزحَةً فَأَنكَرتَ أَن يهذِي إِلَيكَ المُمَازِح

وفي البيت اعتراف بالهذيان، مما يطعن في مكانة المعترف، فيجيبه التيمي بقوله :[الطويل]

بَلَى سَأُؤَدِّيهَا إِلَيكَ ذَمِيمَةً فَتَنكِحَهَا إِن أَعوَزَتكَ المَنَاكِحُ[٢٧]

(٢٦) المؤتلف والمختلف للآمدي، صـ ٩٨ .

وكأني بالرجل يصفع الشاعر أمام حشد من الناس، فيغضب المصفوع ويجيبه بأبيات يقول فيها : [الطويل] **ذَكَرت نِكَاحَ العَنزِ حِينًا وَلَم يَكُن بِأَعرَاضِنَا مِن منكحِ العَنزِ قَادِحُ**(٢٨)

وَلَو كُنتُ شَيخًا مِن سليمٍ نكَحتهَا نكَاحَ يَسَارٍ عَنزَهُ وَهوَ سَارِحُ(٢٩)

فَجَاءَت بِذِي شِدقَين شِدقٌ ملَبلِبٌ يَعَارًا وَشِدقٌ مُستَهِلٌ فَصَائِحُ(٣٠)

يستدعي الشاعر، في هجائه لخصمه، واقعة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، فيخرجها في صورة ساخرة، أبعادها : ـ عنز تسمى " خطة "، وشيخ من " سليم "، قوم المهجو، يقال له " يسار " شاع عنه نكاح " خطة " وغيرها، فصار اسم العنز مثلا للتشاؤم، ومسخ من نتاج نكاح الشيخ لـ " خطة "، فهو مولود نصفه إنسان ونصفه الآخر شاة، ولهذا المولود صفات التيس حين يبصر أنثى، فيصدر أصواتا ينفر بنو البشر منها .

ومن هذا القبيل، الاستعانة بالصورة في الهجاء، قوله في رجل أهدى إليه منيحة، فاستقلها جبيهاء، ونعتها بما يسبغ على مهديها ثوب البخل، فتزدريه العيون، ويناله الخزي، يقول(٣١) :[الوافر]

=

(٢٧) أعوزتك : أعوز : أعجز .

(٢٨) وفي رواية : ولم يكن * بأعراضنا من شأن خطة قادح، خطة : . عنز تسب بها بنو سليم من بني تيم الأشجعيين يقال لهم بنو خطة، وفي المثل: قبح الله غنمًا خيرها خطة .

(٢٩) يسار : اسم رجل، سارح : . راع لها، والمعنى : تنكحها كنكاح يسار لأغنامه وهو راعيها .

(٣٠) بذي شدقين شدق ملبلب يعارًا أي نصفه إنسان، والمعنى لو ولدت خطة لولدت ولدًا نصفه إنسان ونصفه يشبه الشاة يلبلب كما يلبلب التيس على الشاة .

(٣١) كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ جـ ٤ صـ ٢٦، ط . الحلبي، ط . الثانية سنة ١٣٨٥ = =

وَأَرسَـلَ مُهمَـلا جَـذِعَا وحُقًّـا بِلَـا جَـدع النَّبَـات وَلَـا جَـدِيب (٣٢)

يرسم الشاعر للمنيحة المهداة إليه صورة يأنف منها كل إنسان، فهي مهملة لم تجد من يرعاها، فصارت خالية من اللحم والشحم، وهي تشتكي العلل والأمراض، وخاصة في الخصر والكلية، وأضاف الشاعر إلى تصويره صفة أخرى تؤكد كلامه وتوضح غايته، وهي أن المانح لم يرسل مع الهبة أي نوع من النبات لترعاه؛ لشدة بخله.

* * *

وقد يتخذ الشاعر من الصورة الشعرية وسيلة للتخلص من آلام غربته، فحين مر بربع له معه ذكريات سيطرت عليه مشاعر الحنين، وأحاسيس الغربة، وآلام الوحدة فقال (٣٣): [الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِـذِي البِقَـاعِ رُبـوعُ رَاعَت فُـؤادَكَ وَالرُّبـوعُ تَـروعُ (٣٤)

مِـن بَعـدِ مـا بَلِيَـت وَغَيَّـرَ آيَهـا قَطـرٌ وَمُسبَلَـةُ الذُّيـولِ خَريـعُ (٣٥)

=

١٩٦٦ م، ت . عبد السلام هارون، و مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي صـ ١٥، ط . وزارة الإعلام في الكويت (سلسلة التراث) سنة ١٩٨٤ م، ت . عبد السلام هارون .

(٣٢) جذعا : . محروما من العلف، حقا : من حقي – يحقى . حقا : إذا اشتكى الخصر و الكلية، جدع النبات : . النبات الأخضر المقطوع حديثا، جديب : . يابس .

(٣٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ط . مطبعة الجوائب – دمشق، ط. الأولى، والأغاني جـ ١٨ صـ ٩٤

(٣٤) راعت : . أفزعت وأخافت .

(٣٥) آيها : علاماتها، قطر : مطر، مسبلة : . سابغة طويلة، ومسبلة الذيول يقصد بها الريح المستمرة تحمل

=

جَوَّالَــةٌ بِرُبَــى المَــلا غَـولِيَّــةٌ بِـرغـامِهِــنَّ مريــةٌ زُعــزوعُ (٣٦)

يَـا صَـاحِبَـيَّ أَلا ارفَعانِـي إِنَّـهُ يَشفِي الصُّداعَ فَيَذهَـلُ المَرفـوعُ (٣٧)

أَلــوَاحُ ناجِيَــةٍ كَــأَنَّ تَليلَهــا جِـذعٌ تُطيـفُ بِــهِ الرُّقــاةُ مَنيــعُ (٣٨)

تَنجُو إِذَا نجدت وَعارض أَوبَهـا سلق أَلَحـنَ مِنَ النِّيـاطِ خضـوعُ (٣٩)

فِـي كُــلِّ مُطَّــرِدِ الدّفــاقِ كَأَنَّــهُ نَسـرٌ يُرَنِّــقُ حَــانَ مِنــهُ وُقــوعُ (٤٠)

عَرّسـنَ دَائِـرَةَ الظَهيـرَةِ بَعدَمـا وَغّـرنَ وَالحَـدقُ الكَنيـنُ خَشـوعُ (٤١)

بِأَمَــقَّ أَغبَــرَ يَلتَقــي حَنَّانَــهُ لِلرِّيــحِ بَيــنَ فُروعِــهِ تَرجِيــعُ (٤٢)

=

السحاب الممطر، خريع : ضعيف، يقول الأصفهاني : قال الأخفش في خبره عن أصحابه : الخريع : الذاهبة العقل، وشبه السحابة بها لأنها لا تتمالك من المطر .

(٣٦) جوالة : متحركة في ربا الحي، غولية : جالبة للغَولِ، وهو الداهية أو التراب الكثير، برغامهن : الرغام هو التراب، مرية : . شك، زعزوع : شديد .

(٣٧) يذهل : . ينسى وينشغل .

(٣٨) ألواح : مصدر لاح بمعنى ظهر، أو جمع لوح وهو كل صفيحة عريضة، خشبا كانت أو عظما أو معدنا، ناجية : الناقة السريعة، تليلها : عنقها، تطيف : من طاف فأكثر الطواف .

(٣٩) أوبها : سرعتها أو الجهة والناحية، سلق : ذئب، النياط : من ناط بمعنى بعد .

(٤٠) مطرد : مستمر، الدفاق : . من دفق بمعنى اعوج، يرنق : . رنق الطائر : خفق بجناحيه ولم يطر، أو انكسر جناحه فسقط ، والمعنى : تهرب الناقة إلى كل واد مطرد الاعوجاج، فتختبئ، وتترك الذئب كأنه نسر مكسور الجناح حان منه وقوع بسبب شدة جوعه

(٤١) عرسن : . عرس البعير : شد عنقه مع يديه وهو بارك، دائرة الظهيرة : وقت القيلولة، وغرن : . من وغر اليوم إذا اشتد حره، الكنين : . المستور .

(٤٢) بأمق : . واسع، حنانه : الحنَّان : الواضح من الطرق، والمعنى : بطريق أو واد واسع أغبر واضحة معالمه، تسمع أصوات الريح بين فروعه .

يَعـتَسُّ مَنـزِلَهُـنَّ أَطلَـسُ جائِـعٌ طَيَّـانُ يُتلِـفُ مَالَـهُ وَيُضيـعُ (٤٣)

ويصف الشاعر المكان وأثره في نفسه، وهو تحديد للداء، ثم يرى الدواء في النظر إلى ناقته، فيتمنى من صاحبيه أن يرفعاه لرؤيتها حتى يذهب صداعه، وتذهل نفسه عن أحاسيس الغربة وآلامها المنبعثة من منظر الربع الخراب، وصوت الرياح في أرجائه.

وقتلا لمشاعر الوحدة يأنس بالنظر إلى ناقته، ويصفها مؤكدا كرم محتدها، وكثرة نفعها، معتمدا على غير مشهد من مشاهد الصورة الشعرية التي يرنو إليها :

❖ ففي المشهد الأول : ـ يبصر المتلقي ناقة ضخمة، طويلة العنق، قوية البنيان، منيعة الجانب.

❖ وفي الثاني : ـ يقف أمام سمة قلما توجد عند مثيلاتها، فجمال المظهر أضيف إليه جمال المخبر، حيث حدة الذكاء، وحسن التصرف عند الشدائد، فهذه الناجية إذا نجدت نجت بصاحبها من الذئب المتربص بها وبراعيها ؛ لكونها الأسرع.

ويركز الشاعر الضوء في موقف يشفّ عن ذكاء الناقة، وحسن تصرفها عند الشدائد، فهي تفر من الذئب سالكة كل واد معوج حتى تتمكن من الاختباء تاركة المتربص يترنح من الجوع والحسرة كأنه نسر مكسور الجناح حان منه وقوع.

❖ وفي المشهد الثالث : ـ نرى الناقة مطمئنة وقت الظهيرة، تضم عنقها إلى يديها، ويسيطر الخشوع على حدقيها ؛ لقوتها ورباطة جأشها، وكرم أصلها

(٤٣) يعتس : يطوف ليلا، أطلس : ذئب في لونه غبرة إلى سواد، طيان : جائع، والمعني : يعتس حول إقامة هؤلاء القوم في الوادي ذي الصفات السابقة الذكر ذئب جائع ثابت الفؤاد يتلف مال الركب المقيم في المكان.

ويؤكد الشاعر صفاتها، ويوضح معالم الصورة بالتفاته إلى الوادي المحيط بالناقة، فيذكر أنه مكان مثير لمشاعر الخوف في قلب كل حي، فهو واد واسع تلتقي فيه طرق كثيرة، وتسمع فيه أصوات الريح بطريقة مخيفة، وتكثر فيه الذئاب الجائعة؛ لخلوه من بني الإنسان.

والصورة في مجملها تعكس قدرات الرجل، ودقة ملاحظته حين أضاف إلى وصفه لجمال المظهر جمال المخبر في المشهدين الثاني والثالث، وبدت براعته في تركيزه على إيحاءات الصورة حين قال: " كَأَنَّهُ نَسرٌ يُرَنِّقُ حَانَ مِنهُ وُقوعُ " وقال: " وَالحَدقُ الكَنينُ خَشوعُ " فالصورة البيانية التي ساقها واعتمدها سبيلا فيعرض أفكاره، ودقائق مشاهده تبث في النفس ملامح المنتصر، الناقة، وقد سكن فؤادها وقرت عينها، وآلام المنهزم، الذئب، وقد ترنح من أوجاع الحسرة، وأحزان الخزي.

ويدرك الشاعر بحسه الأدبي أثر استخدام الأسلوب القصصي في توكيد المعاني، وجذب المتلقي وإقباله بكل جوارحه؛ للاستماع؛ وتتبع الأحداث، وما تنهض به الحكاية من دور في التسلية يشهد ترحيبا واستحسانا، يدرك جبيهاء ذلك فيتخذه سبيلا إلى صوره، وطريقا إلى حديث لائط بنفسه وقريب من قلبه، وأعني به حديث الضيفان، ووصفه دوابَّهم.

والإطار القصصي الذي انتهجه الشاعر في صوره قد يأتي خياليا، أو واقعيا، ففي معاتبته لرجل يقال له " موسى " وعده بكبش ثم أخلفه، يتخيل الشاعر قصة افتراس الذئب لهذا الكبش، واصفا المفترِس والمفترَس فيقول(٤٤): [البسيط]

---

(٤٤) الأغاني جـ ١٨ صـ ٩٧.

واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِـي وَمـا لِمِثلِـيَ تعتَـلُّ الأَكاذيـبُ (٤٥)

يا لَيتَ كَبشَكَ يا مُوسَى يُصادِفُهُ بَينَ الكُراعِ وَبَينَ الوَجنَةِ الـذيبُ (٤٦)

أَمسَى بِذِي الغُصنِ أَو أَمسَى بِـذِي سَـلَمٍ فَقَحَّمَتـهُ إِلَـى أَبياتِـكَ اللُّـوبُ (٤٧)

فَجـاءَ وَالحَـيُّ أَيقـاظٌ فَطـافَ بِهِـم طَـوفَينِ ثُـمَّ أَقرَّتـهُ الأَحاليـبُ

فَبـاتَ يَنظُـرُهُ حَـرَّانَ مُنطَوِيـاً كَأَنَّـهُ طالِـبٌ لِلـوترِ مَكـروبُ (٤٨)

وَقامَ يَشتَدُّ حَتَّى نَالَ غِرَّتَـهُ طَـاوِي الحَشَـا ذَرِب الأَنيابِ مَذبـوبُ (٤٩)

بِغَفلَـةٍ مِـن زُرَيـقٍ فَاسـتَمَرَّ بِـهِ وَدونَـهُ آكـم الحِقـفِ الغَرابِيـبُ (٥٠)

سَل عَنهُ أَرخمَةً بيضاً وَأَغرِبَةً سوداً لَهُـنَّ حَنَـى أَطمَـى سَلاهِيـبُ (٥١)

يَردينَ رَدي العَذارَى حَولَ دمنَتِهِ كَمَا يَطُوفُ عَلَـى الحَـوضِ المَعاقِيـبُ (٥٢)

---

(٤٥) تعتل : . يقال لا، والمعنى : . لا يقال لمثلى كذبا : لا أخلفك الوعد .

(٤٦) الكراع : . من البقر والغنم : مُستَدَقُّ الساق العاري من اللَّحم، الوجنة : . ما ارتفع من الخدَّين .

(٤٧) ذي الغصن وذي سلم : أماكن، فقحمته : من قحم بمعنى دنا، اللوب : . القطعة من اللحم تدور في القِدر، والمعنى : أمسى الذئب بهذين الموضعين، وأدنته من منازلك رائحة اللحم في القدر

(٤٨) حران : شديد العطش لدم الكبش، منطويا : منثنيا، الوتر : . الثأر .

(٤٩) غرته : . غفلته، ذرب الأنياب : . مظهرا أنيابه الحادة القوية، مذبوب : . جاف الشفتين من الجوع والعطش إلى الدماء .

(٥٠) زريق : . تصغير أزرق، ويقصد به الرمح، وفي هذا التشبيه تأثر بقول امرئ القيس ومسنونة زرق، آكم الحقف : ما استطال واعوجَّ من الرَّمْلِ، الغرابيب : . الشديد السواد .

(٥١) أرخمة : . الرَخَم طائر من الجوارح يشبه النسر، كثير الريش، أبيض اللون مبقع بسواد، أطمى : . أرخي وأسدل، سلاهيب : . طويل .

(٥٢) يردين : . يسقطن وينزل، العذارى : جمع عذراء وهي الفتاة البكر، دمنته : . الدِّمْنةُ ما اختلط من البعر والطِّين عند الحوض فتلبَّدَ ، المعاقيب : . المعقب : السائق الماهر بسوق الماشية، والمعنى : . تسقط الجوارح =

فَجَـاءَ يَحمِـلُ قرنَيـهِ وَيَندُبُـهُ فَكُـلُّ حَـيٍّ إِذَا مـا مَـاتَ مَنـدوبُ

يتخيـل الشـاعر الكـبش الموعـود بـه بـين أنيـاب ذئـب ضـار، ويتنـاول بدقـة ملاحظته، وبراعته في التصوير جوانب الموقف ويتتبع بناظريه مشاهد يسيطر عليها التأثر بالبيئة وثقافتها .

ويستهل الشاعر الصورة الكلية بحديث عن نفسه موضحا معالمها، فيبصره المتلقي عزيز قومه، لا يُتطاول عليه، ولا يُخلف وعداً وُعد به .

❖ ثم يردف الشاعر المشهد السابق بآخر فيه حديث عن الذئب الجائع المتربص بالحي، وأماكن وأوقات اختبائه، وحالته النفسية ؛ فبشدة الجوع أصبح الذئب كأنه طالب ثأر يحترق فؤاده لهفة إلى إدراك غايته دون نظر إلى العواقب، فينال مراده، في غفلة من القوم، وهو طاوي الحشا، بارز الأنياب، مقبلا على الفريسة بنهم بعد جره إيّاها في أودية معوجة ذات حجارة سوداء .

❖ وفي مشهد آخر منتزع من بيئة الشاعر نرى سباع الطير قد تجمعت حول بقايا الكبش بطريقة مثيرة للعجب من اقتدار جبيهاء على التصوير الحركي لها، فهي طيور مسنة يغلب عليها الانحناء، وتتدلى من أعناقها جلود خالية من الريش ؛ مما يدل على سعة خبرتها، وسفرها الطويل .

وما أجمل الصورة، والبراعة في توظيفها لبيان المعنى وتوكيده في قوله : [البسيط]

يَردينَ رَدي العَذَارَى حَولَ دمنَتِهِ كَمَا يَطُوفُ عَلَى الحَـوضِ المَعاقِيـبُ

=

على بقايا الكبش بصورة تشبه لعب العذرى في الاعتماد على رجل دون أخرى ثم تبادل الاعتماد على الرجل الثانية .

وبراعة التصوير تكمن في استعانة الشاعر بالصورة الحركية للعذارى عند وصفه حركة الجوارح حول بقايا الجيفة، فالتحرك السريع جرّاء الجوع، وبهيئة مخصوصة بسبب طبيعة تلك الجوارح، وبطريقة منظمة، كما ينظم الراعي دوابه عند الحوض؛ بسبب تسلسل القيادات والالتزام به داخل مجتمع تلك الطيور كل ذلك يوحي بالاطمئنان؛ ثقة في هوان عشيرة المهجو وضعفها عن دفع المفترسات، والتعرض لها.

❖ وأمام مشهد ختم الشاعر به قصته الخيالية، وصورته الرائعة يقف المتلقي معجبا ببراعته، فقد استهل الأبيات بصورة تُعلي من مكانته، وختمها بأخرى تطعن في مكانة من أخلفه الوعد، حيث يقول: ـ [البسيط] **فَجَاءَ يَحمِلُ قرنَيهِ وَيَندُبُهُ فَكُلُّ حَيٍّ إِذَا ما مَاتَ مَندوبُ**

تسيطر على المشهد مشاعر الندم والحسرة على ما ضاع، وتنم عن ضعف " موسى " وقلة حيلته في حماية دوابه، التي صارت مرتعا للضواري، وأصبح الرجل حديثا للمقيم والراكب، ومطمعا للضواري وبغاث الإنس.

وإنّ الصورة في مجملها وردت على غير ما يتوقعه القارئ، فمطلع الأبيات يوحي بأن الحديث منحصر في وصف الكبش وذمه وصاحبه، ولكن الشاعر ينتهج نهجا آخر حين يتمنى لقاء الذئب بالموعود، حتى تسيطر على المخلف آلام الحسرة، ويظهر ضعفه وقلة حيلته.

وقد يأتي الإطار القصصي عند جبيهاء واقعيا، وهو ما يبدو واضحا في هذه القصيدة (٥٣) : [الطويل]

(٥٣) حماسة ابن الشجري القسم الثاني ص ٩٥٣- ٩٦٥ .

وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ (٥٤)
بَغَى فِي بَنِي سَهمِ بنِ مُرَّةَ ذَودَه زَماناً وَحَيّاً ساكِناً بِالسَّواجِرِ (٥٥)
وَعارفَ أَصراماً بِإيرٍ وَأحبجت لَهُ حاجَةٌ بِالجزعِ جزع خُناصِرِ (٥٦)
وَصادَفَ أَغلاثاً مِنَ الزَّادِ كُلّه نَقيفاً وَفَثّاً وَسطَ تِلكَ العَشائِرِ (٥٧)
فَأَبصَرَ نَارِي وَهيَ شَقراءُ أوقِدَت بِلَيلٍ فَلاحَت لِلعُيونِ النَّواظِرِ
فَما رَقَدَ الولدانُ حَتَّى رَأَيته عَلَى البَكرِ يَمريهِ بِساقٍ وَحافِرِ (٥٨)
كِلا عَقَبَيه قَد تَشَعَّثَ رَأسُها مِنَ الضَّربِ فِي جَنبي ثفالٍ مُباشِرِ (٥٩)

---

(٥٤) أحنف : . من كانت رجله « حنفاء »، أي معوجة إلى داخل، مسترخي : مُرخيًا عضلاتِه، العلابي : . جمع عِلباء، وهي العصبة الممتدة في عنق الإنسان، والمعنى : رب رجل أضر به السفر فتخالفت قدماه واضطربت أعصابه فاسترخت وقذفت به الأرض في البادية والحضر .

(٥٥) ذوده : الذود : قطيع من الإبل، السواجر : . اسم مكان، والمعنى : طلب الرجل ضالته من الإبل في بني سهم، وقضى في طلبها زمانا، ثم مضى يطلبها في السواجر .

(٥٦) عارف : تعرف، أصراما : جماعة منعزلة، أو هي جمع صرمة وهي قطيع من الإبل، إير : . اسم مكان، أحبجت : . أشرقت وبدت، الجزع : . منعطف الوادي ووسطه، خناصر : . مجتمع القوم وماكن تواجدهم مجتمعين، والمعنى : خيل إليه أنه وجد ضالته في بادية إير، ثم ظنها في جزع خناصر .

(٥٧) أغلاثا : أخلاطا، نقيفا : . النقيف : . الحنظل الذي أخرج منه حبه، فثا : . نبت يختبز بحبه ويؤكل في الجدب.

(٥٨) يمريه : . مَرَى الفرسَ : حمله على إبراز مقدرته على الجري بسوطٍ أَو غيره .

(٥٩) عقبيه : . العَقِبُ : عظم مؤَخَّر القدم، وهو أَكبر عظامها، تشعث : . تغير واتسخ، ثفال : . الثَّفَالُ من الدوابّ : . البطيءُ الثَّقيل الذي لا ينبعث إلاَّ كَرْهًا، والمعنى : في رحلته الطويلة بين العشائر أكل أخلاطا من الزاد فيها خبز الحنظل وخبز الفث، ورأى فجأة ناري وقد أوقدت بهذه الصفة، وما كاد الولدان يرقدون حتى رأيته يركب بعيره المتعب ويسوقه بساقه وقدمه، وقد تشقق عقباه من إسرافه في ضرب جنبي البعير البطيء

فَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الحَيَّ صَوتهُ بِصَوتٍ رَفيعٍ وَهوَ دُونَ النَّقائِرِ (٦٠)
فَقُلتُ لَهُ أَهلاً وَسَهلاً وَمَرحَباً بِهذا المُحَيَّا مِن حَبيبٍ وَزائِرِ
فَقُمتُ رَسيلاً بِالَّذِي جَاءَ يَبتَغِي إِلَيهِ مَليحَ الوَجهِ لَيسَ بِباسِرِ (٦١)
فَقالَ استَمِع مِنِّي العَجيب عَذيمَة مِنَ الغَيثِ كانَت بَعدَ عَركِ السَّوائِرِ (٦٢)

جَنوب رُخَيَّاتٍ فَجزع تناضب مزاحف جَرَّارٍ مِنَ الغَيثِ باكِرِ (٦٣)
فَقُلتُ لَهُ ما كانَ حَيثُ تَقولُ لِي عِهادٌ فَهَل مِن حادِثٍ بَعدُ ناصِرِ (٦٤)
أَنِخ راشداً فانزِل فَما دونَ ضَيفنا حِجاب سوى حِصنِ النِّساءِ الحَرائِرِ

يستهل الشاعر قصيدته بحديث عن الضيف، وما حاق به من أهوال السفر، وكأني به يمهد للحديث عن ناقته ومناقبها؛ فيجذب انتباه المتلقي، وينال اهتمامه، وإعجابه بكثرة فوائد هذه الناقة التي أغاثت بائسا هذه صفاته، فهي غوث للضيفان من الجوع، ومعين لهم على الخلاص من شكواهم المتنوعة، وهو حديث يبدي بعض ملامح الموصوف، ويلقي الضوء على جانب من الصورة الكلية التي يرنو إليها.

ويضيف جبيهاء إلى هذا الجانب من الصورة جوانب أخرى ترسم جمال المظهر والمخبر، فيقول: ـ[الطويل]

---

(٦٠) النقائر: ـ الهدف.

(٦١) رسيلا: ـ رسولا مستقبلا له ومرحبا به، باسر: مقطب عبوس.

(٦٢) عذيمة: ـ نبات يؤكل، عرك: ـ ازدحام، السوائر: جمع سائر.

(٦٣) جنوب: ريح تهب من الجنوب، رخيات: مكان، جزع: ـ منعطف الوادي ووسطه، تناضب: ـ مكان، مزاحف: ـ نبات يزحف مجموعه الخُضريّ على سطح الأرض مُعْتَزًا جذوره في التّربة، جرار: كثير.

(٦٤) ناصر: مساعد.

فَقُمتُ إِلَى بَلهاءَ ذاتِ علالةٍ مُعاوِدَةِ المَقرَى جَموم الأَباهِرِ (٦٥)

علاةٍ عَلَنداةٍ كَأَنَّ ضُلوعَها كَتائِفُ شِيزى عُطِّفَت بِالمَآسِرِ (٦٦)

رَقودٍ لَو أَنَّ الدُفَّ يُنقَرُ تَحتَها لِتَنفِرَ مِن قاذورَةٍ لَم تُناكِرِ (٦٧)

فَدَرَّت مَرِيّاً حالِبَيها وَأَرزَمَت إِلَى حسٍّ مَعذومٍ عَنِ الضَّرعِ فاتِرِ (٦٨)

حَسِيمٍ نَفاهُ العَبدُ حَتَّى أَفَزَّهُ عَنِ الضَرعِ إِلاَّ حَكَّهُ بِالمشافِرِ (٦٩)

دَفَعنا ذَنوبَيها فَلَمَّا تَفَسَّحَت جَلَت عَن عَميقِ الرِّفغِ جَابِي الأَباجِرِ (٧٠)

مُحَجَّلِ أَوساطِ الغَراميلِ رُكِّبَت أَنابيبُهُ فِي صُرَّةٍ ذاتِ ساتِرِ (٧١)

---

(٦٥) بلهاء : . ناقة جيدة لا تدفع يد الحالب، علالة : غزيرة اللبن، معاودة : . من عاود الشيء : جعله من عادته، المقري : . إناء أو حوض يجمع فيه الماء ونحوه ليقدم للضيف، واستعمله هنا لضرع الناقة، جموم : . كثيرة، الأباهر : . عروق تكاد تجتمع .

(٦٦) علاة : . ناقة جسيمة، علنداة : . غليظة، كتائف : . جمع كتيف وهو صفائح من الحديد، شيزى : . سوداء صلبة، بالمآسر : . شدة الخَلْق .

(٦٧) قاذورة : . الفعلُ القبيح، واللفظُ السَّيِّئ، تناكر : . تحارب وتقاتل .

(٦٨) فدرت : . جادت بلبن غزير، مريا : . مرسلا بكثرة، أرزمت : . حنت، وهو صوت تصدره الناقة من حلقها ولا تفتح معه فاها، معذوم : .كثير العض للضرع طلبا للبن من شدة الجوع، ويقصد به هنا ولد الناقة، فاتر : . ما بين الحار والبارد .

(٦٩) حسيم : . ممنوع من الرضاعة، أفزه : . أزعجه، والمعنى : تُرك الرضيع ليحك أمه بمشافره إرضاء له ولها

(٧٠) ذنوبيها : الذنوب : الإلية أو أعلى الرجل من الخلف في الناقة ، الرفغ : . أصول الفخذين من الباطن، جابي : . طالب، الأباجر : عروق الضرع .

(٧١) محجل : . فيه بياض بسبب كثرب الحلب والرضاعة، الغراميل : . ما تفرع من أصل الثدي للرضاعة، صرة : . الصُّرَّةُ : ما يُجمع فيه الشيء ويُشَدّ، ويقصد بها هنا : الضرع، وهو هنا يصف ضرع الناقة بصورة طريفة ودقيقة .

كَظَبيِ القَنيصِ قارَبوا فَوقَ رَأسِهِ وَأَوصالِهِ فِي مُكنباتِ المَرائِرِ (٧٢)

فَما بَرِحَت سَجواءَ حَتَّى كَأَنَّما بِأَشرافِ مقراها مَواقِعُ طائِرِ (٧٣)

وَحَتَّى سَمِعنا خَشفَ بَيضاءَ جَعدَةٍ عَلَى قَدَمَي مُستَهدِفٍ مُتَقاصِرِ (٧٤)

وَحَتَّى تَناهَى الحالِبانِ وَخَفَّفا مِنَ القَبضِ عَن خَثمٍ رِحابِ المَناخِرِ (٧٥)

وَجَاءَا جَميعاً يَهدِجانِ كِلاهُما يَمدُّ يَدَيهِ بِالعَميقِ الجُراجِرِ (٧٦)

فَقُلتُ لَهُ اشرَب لَو وَجَدَت قَصيَّةً قُريتَ الذُّرا مِن مُربعاتٍ بهَازِرِ (٧٧)

وَلَكِنَّما صادَفتَ ذوداً مَنيحَةً حُبسنَ لِحَقٍّ أَو لِجارٍ مُجاوِرِ (٧٨)

---

(٧٢) القنيص : الصائد، مكنبات : . من كنب الشيء : كنزه فيه وحبسه، المرائر : جمع مريرة وهي الحبل شديد الفتل .

(٧٣) سجواء : . ناقة سجواء : إذا حُلبت سكنت، أشراف مقراها : أعلي الإناء، شبه ما على جوانب الإناء من رغوة اللبن الزائدة بمواقع الطير وما تتركه من سلوحها البيضاء على الأطراف .

(٧٤) خشف : . صوت، بيضاء : . رغوة اللبن، جعدة : . مرتفعة كالشعر المعقوص، مستهدف : المستهدف : الحالب يتقاصر للحلب

(٧٥) الحالبان : . يدا الحالب، خثم : . كبير مستدير منبسط، المناخر : . ثقبا الأنف، والمعنى : . انتهى الحالبان من عملهما، فبدت أطراف الضرع بهذه الصورة، واستعار المناخر للخثم للدلالة على غزارة اللبن .

(٧٦) يهدجان : . من هدج : وهو المشي متثاقلا ببطء، الجراجر : . الكثير، ومنه ماء جراجر : أي كثير، والمعنى : ما لبثنا أن سمعنا صوت الرغوة البيضاء تسيل على قدمي ذلك الحالب المتقاصر ليستطيع الحلب، فلما انتهى صغرت أخلاف الناقة، وقد ملأت إناء كبيرا يحمله الحالبان وهما يقاربان خطوهما ويتأنيان في السير .

(٧٧) قصية : ناقة كريمة تقصى عن الإبل صونا لها، الذرا : . ما استتر به، ويقصد ما استتر به من الجوع، مربعات : إبل ترد بلا راع، بهازر: البهزرة : الناقة العظيمة .

(٧٨) ذودا : من ذاد عن حوضه : دافع عنه، ويقصد بها هنا القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى التسع، منيحة : . الناقة يبقى لبنها بعد ما تذهب ألبان الإبل .

خَناجِرِ شُدقاً بَينَ حَمضٍ وَخُلَّةٍ مَجاليح فِي المَشتَى ثِقالَ الكَراكِرِ (٧٩)

فَأَقنَعَ كَفَّيهِ وَأَجنَحَ صَدرَه بِجَرعٍ كَأَثباجِ الزِّبابِ الزَّنابِرِ (٨٠)

وَ واجَهَهُ جَذلانَ حَتَّى أَمَرَّهُ بِيُمنَى يَدَيهِ كَاشتِمالِ المُخاطِرِ (٨١)

فَلَمَّا خَشيتُ الذَمَ قُلتُ اِشفَعوا لَهُ بِثنَتَينِ مِن ذَودِ العِيالِ الغَوابِرِ (٨٢)

فَقُمنَا إِلَى خَيرَينِ فِي ضَرَّتَيهِما مَجَمّ لِدراتِ العُروقِ النَّواعِرِ (٨٣)

كمَيتَينِ حَمراوَينِ لَوناً تَعادَتا بِهِ نَسَباً فِي الوَاشِجاتِ الزَّواخِرِ (٨٤)

عَلاتَينِ تَمضِي لَيلَةُ الطَلِّ عَنهُما وَقورَينِ تَحتَ السَّاقِطِ المُتَواتِرِ (٨٥)

---

(٧٩) خناجر : . نياق غزيرة اللبن، شدقا : . من شدِق فلانٌ إذا اتَّسَع جانبُ فمه ممَّا تحت الخدّ، حمض : . الحَمْضُ : كلُّ نبتٍ حامضٍ أو مالح يقوم على ساقٍ ولا أصْل له وهو للماشية كالفاكهة للإنسان، خلة : الخُلَّة : .كلُّ نبتٍ حلو، مجاليح : جمع مجلاح وهي الناقة تدر اللبن في الشتاء في السنين الشديدة، الكراكر : . رحى البعير وهو في الصدر كالخف .

(٨٠) أقنع : رفع، أثباج : . جمع ثَبَجُ ومعناها معظم، الزباب : جمع زبابة وهي الفأر، الزنابر : الكبيرة الضخمة ، والمعنى : . وضع الضيف كفيه على حافتي الإناء وقدم صدره وجعل يكرع ويجرع جرعات كبار كأنها فئران عظام ثم انتهى وهو مسرور جزلان.

(٨١) وواجهه : أي واجه الرجل اللبن، جذلان : . فرحان، أمره : جعله يمر .

(٨٢) الغوابر : جمع غابر ومعناها الباقي .

(٨٣) مجم : من أجم : بقي فيه بقية، درات العروق : . سيلها، النواعر : . العروق ذات الصوت عند الحلب، والمعنى : خفت ألا يكفيه ما شرب فقمت إلى خير ناقتين عندنا بقي في ضروعهما لبن، وكانتا حمراوين لهما نسب في الإبل، كبيرتين وقورتين، إذا سقط عليهما المطر لم تتحركا، وما كدنا نحلبهما حتى درتا لبنا فاترا له زبد، فقلت للحالبين : عجلوا الصبوح للضيف .

(٨٤) كميتين : لون الناقتين ما بين الأسود والأحمر، تعادتا : توالتا، يقال عاديت بين صيدين أي واليت، الواشجات : . المشتبكات المتصلات في الرحم وأصل النشأة، الزواخر : جمع زاخر وهو الكريم .

(٨٥) علاتين : . العلاة : الناقة الجسيمة،

تَرافَدَتــا حَتَّــى كِــلا مَحلَبَيهِمــا أَنــافَ بِزُبَّــادٍ مِــنَ الغــزرِ فَاتِــرِ (٨٦)

فَقُلتُ احلبوا قَبلَ الصَّبَاحِ صَبوحَهُ لَهُ باكِراً فِي الـوردِ أَو غَيـر باكِـرِ (٨٧)

فَباتَ وَباتَ المَخضُ عِندَ وِسـادِه حَقيناً وَمِن دُونِ اللِّحـافِ المُباشِـرِ (٨٨)

فَلَمَّـا رَأى أَنَّ الصَّبـوحَ شَصاصَـةٌ وَأَنَّ فَريسَ اللَّيـلِ إحـدَى المَناكِـرِ (٨٩)

فَأَصبَحَ مَمهـوداً لَـهُ بَيـنَ وَحفَـةٍ رَبـوضٍ وَمَضـروبٍ لَـهُ بِالوَتائِـرِ (٩٠)

فَمَا رَامَ حَتَّى مَسَّتِ الشَّمسُ جِلـدَهُ وَلانَت عَلَى الحَافِي رُؤوس الحَـزاوِرِ (٩١)

وَأَضـحَى بِأَجـوازِ الفَـلاةِ كَأَنَّمـا يُقَلِّـبُ ثَوبَيـهِ قَـوادِمُ طائِـرِ (٩٢)

ترَامَى بِهِ نَقبا زِيـادٍ كَمـا ارتَمَـت مَخَـارِمُ ذِي فَلـحٍ بِـأَروَقَ صـادِرِ (٩٣)

---

(٨٦) ترافدتا : . الرفد هو العطاء بسخاء، أناف : . أشرف وكاد أن، بزباد : . الزباد : الزُّبدُ، الغزر : . يقال : غزرت الناقة : كثر لبنها، فاتر : بين الحار والبارد .

(٨٧) صبوحه : . الصبوح : شرابُ الصَّباح من اللبن .

(٨٨) المخض : . اللبن نزع منه الزبد (مما يؤكد بخل الرجل)، حقينا : . من حقن اللبن إذا جمعه في القربة،

(٨٩) شصاصة : قليلا، فريس : . قتيل .

(٩٠) وحفة : أرض مستديرةٌ مرتفعةٌ سوداءُ، ربوض : واسعة كثيرة الأهل، الوتائر : الطرق المختلفة، مضروب : محقون في الإناء

(٩١) الحافي : عاري القدمين، ويعنى به الضيف، الحزاور : . جمع حزور وهو المكان الغليظ .

(٩٢) أجواز : جمع جوز وهو الوسط، يقلب ثوبيه ... كناية عن سرعته وقوته في السير ونشاطه بعد القري وشربه للبن الجيد .

(٩٣) نقبا : النقب خف الجمل، زياد : من الزيادة وهي الكثرة في المشي، بسبب النشاط والقوة التي لحقت البعير أيضا، مخارم : أوائل، فلح : شق، أروق : . ظبي أقرن، صادر : . راجع عن الماء، والمعنى : . ظل الضيف نائما حتى ارتفعت الشمس ومست جلده ولانت الأرض على الحافي ثم مضى في طريقه في الصحراء تقلب الريح طيات ثيابه فتبدو وتختفي كأنها قوادم طائر، وترامت به السبل في نقاب الجبال كما تترامى مسالك ذي فلج بطبي أقرن .

تتابعت المشاهد وتكاتفت في رسم صورة للمحلوبة، غير أن الدقة في ترتيبها تلوح مفقودة، ففي بعض الأبيات يأتي التركيز على تصوير الشّكل، وفي الأخرى على حسن المضمون، ثم سرعان ما يعود إلى الحديث عن الظاهر، ثم الباطن، وهكذا دواليك، ولعل السبب في ذلك ناجم عن افتقار الرجل في تقويمه إلى التنقيح، وإعادة النظر .

❖ ففي البيتين الأول والثاني : ـ يبصر المتلقي ناقة بلهاء لا ترد يد حالب، كثيرة عروق الضرع، غزيرة اللبن، تتعاقب الآنية على لبنها، جسيمة ضخمة، شديدة الخلق قوية البنيان .

❖ وفي الأبيات الثلاثة التالية : ـ صورة لناقة جميلة المخبر، تتمتع بالوقار والسكون، وشدة الحنين إلى وليدها، وهي سمات تنم عن عراقة أصلها، وكرم محتدها .

❖ ثم يلتفت الشاعر إلى مشهد آخر يتمم به جمال مظهرها، فيقول :[الطويل]

دَفَعنا ذَنوبَيها فَلَمَّا تَفَسَّحَت جَلَت عَن عَميقِ الرّفغِ جَابِي الأَباجِرِ"

فلضرعها وما يحيط به هيئة تسر الناظرين، وما أجود لبنها ! فهو غني بالدسم، ولهذا ترى الرغوة تفيض على جانبي الإناء، فيصبح المشهد كأنه بيت طائر تعود على الخلاص من فضلاته على جانبي العش (كَأَنَّما بِأَشرافِ مقراها مَواقِعُ طائِرِ) .

❖ويلتفت جبيهاء إلى مشهد آخر به يتمم الحديث عن جمال إبله، فيقول : [الطويل]

خَناجِر شُدقاً بَينَ حَمضٍ وَخُلَّةٍ مَجاليح فِي المَشتَى ثِقالَ الكَراكِرِ

ويقول :[الطويل]

فَقُمنَا إِلَى خَيرَيـنِ فِـي ضَرَّتَيهِمـا مَجَـمٌّ لِـدراتِ العُـروقِ النَّواعِـرِ
كمَيتَيـنِ حَمراوَيـنِ لَونـاً تَعادَتـا بِـهِ نَسَباً فِـي الوَاشِجـاتِ الزَّواخِـرِ

❖ ثم ما يلبث أن يعود إلى الحديث عما تتسم به إبله من وقارٍ وسكينة، فيقول : -[الطويل]

عَلاتَينِ تَمضِي لَيلَـةُ الطَـلِّ عَنهُمـا وَقورَينِ تَحـتَ السَّاقِـطِ المُتَواتِـرِ

❖ ثم سرعان ما يصوّر ضرع محلوبته وغزارة لبنها، فيقول : - [الطويل]

تَرافَدَتـا حَتَّـى كِـلا مَحلَبَيهِمـا أَنَـافَ بِزُبَّـادٍ مِـنَ الغـزرِ فَاتِـرِ

* * *

ولعلّ المتأمل في صور جبيهاء، سالفة الذكر، يلمس الآتي : -

❖ التشابه التام في منابع الصورة، فهي مستمدة من بيئته البدوية، متأثرة بثقافتها، وهو ما يبدو في جلّ صوره .

❖ تلتقي صوره في سمة واضحة المعالم .إنّها انعكاس لشخصيته وما تؤمن به، فقد يغلب على نظرته إلى دوابه الجانب النفعي. فجُلُّها يرنو إلى إبراز مناقب دوابه من حيث غزارة اللبن، ووفرة اللحم والشحم، والقناعة والرضا بالمراعي الفقيرة؛ ولهذا رأيناه يهمل التركيز على المظهر الجمالي الخالي من المنفعة المادية .

❖ تستبدّ الصّور المركّبة في شعره بالحضور، حتّى إنّه ليعتمد على مشاهد متنوعة بها يخرج صورة كلية يتطلع إليها . وقد يقع في النفس أن كثرة المشاهد في الصورة الواحدة، مع تباعدها ،إنّما ينمّ عن ذهن مشتت، ونظرة مفتقرة إلى التركيز، وآية ذلك أنّهما ينفكّ يلتقط مشهدا من هنا وآخر من هناك بغية نحت صورة مكتملة يسعى خلفها المنتج .

❖ تتسم صوره الجزئية بالدقة في التناول، وإن تباينت في غير موقف، فهو ذو نظرة ثاقبة في إدراك دقائق الأمور، وبراعة في تصويرها وإخراجها في لوحة فنية جميلة وطريفة .

❖ نهضت الصورة بالدور المنوط بها، فأدرك الشاعر غايته بحسن توظيفه إيّاها، مما يعكس براعة في التصوير وقدرة على امتلاك الأدوات الفنيّة اللازمة.

❖ حرص جبيهاء على توثيق الصلة بين الصور الكلية والمشاعر المتنوعة التي تعتريه من حين لآخر، فقد استطاع ،بمهارة، توظيف تلك الصور في التنفيس عن الذات الشّاعرة، فوجه سهام نقده وهجائه إلى أعدائه، وتخلص من آلام غربته وأحاسيس حنينه، وسعى جاهدا إلى إظهار جوده وكرمه مستعينا بالأسلوب القصصي، ومدركا لأثره وقيمته .

❖ أجاد الشاعر توظيف صوره الجزئية، فنهضت بمراده وساهمت بشكل مؤثر في الصورة الكلية التي يرنو إليها المبدع، وبدا ذلك واضحا في غير موضع .ومنها قوله : ـ [الطويل]

وَأَضحَى بِأَجوازِ الفَلاةِ كَأَنَّما يُقَلِّبُ ثَوبَيهِ قَوادِمُ طائِرِ

ففي البيت تتراءى صورة جزئية تهدف إلى بيان إدراك الضيف لغايته، وسعادته بما نال من جود وكرم، فانصرف مسرعا نشيطا بعدما أصابه الهزال والضعف من الجوع وتعب السفر .

فالصورة الفرعيّة بهذه الدلالة إنّما تؤكّد ما تفيده صورة القصيدة الكلية، حيث الحرص على قرى الضيفان، وإشعال النيران ؛ ليهتدوا بها .

وقريب من هذا قوله : [الطويل]

فَجَاءَ يَحمِلُ قرنَيهِ وَيَندُبُهُ فَكُلُّ حَيٍّ إِذَا ما مَاتَ مَندوبُ

إنّها لصورة جزئية يظهر فيها صاحب الكبش في هيئة الضعيف البائس قريب الشبه بالنساء في الندب والبكاء، وهي غاية يطلبها من الصورة الكلية، انتقاما من خصمه .

المبحث الثالث

نظرات نقدية في صور جبيهاء الشعرية

بعد جولة في ملامح صور جبيهاء الشعرية ووظائفها، ومحاولة للوقوف على براعة الرجل التصويرية، وقدراته الإبداعية في طرائف الصور، وحسن توظيفه للصورة في أداء معانيه وتأكيد أفكاره، جدير بالدارس أن ينظر بعين الناقد إلى هذا النتاج مجوّدا النظر في عنصرين مهمّين وهما الأسلوب، والخيال.

أولا : ـ الأسلوب : ـ يتسع مصطلح " الأسلوب " للحديث عن الألفاظ ودلالاتها، والعبارات وإيحاءاتها، وطرائق التعبير بأنواعها كأسلوب الاستفهام، والشرط، والأسلوب القصصي.

ويلمس متلقي صور جبيهاء – في غير موضع – براعة وتوفيقا في استخدام عناصر الأسلوب، حيث استعان بألفاظ وعبارات لها من السمات ما يؤثر في المعنى، ويتناسب وثقافته، وما يجيش في نفسه من مشاعر وأحاسيس، ففي وصفه ناقتَه ؛ هروبا من آلام وحدته، وأوجاع غربته يلجأ إلى ألفاظ وعبارات مؤثرة في الصورتين الجزئية والكلية، فيقول(٩٤) : ـ [الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبُوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبُوعُ تَروعُ

فقد أحسن جبيهاء اختيار ألفاظه وعباراته في القصيدة، فجاءت ملائمة لحالته، متناسبة وأهدافه، حيث أكثر من استخدام كلمات تشتمل على حرف العين كقوله : البقاع – ربوع – راعت – الربوع – تروع – خريع، وقافية رويها حرف عين.

---

(٩٤) سبق ذكر القصيدة كاملة في صـ ١٢ .

وفي هذا تناسب وحالته النفسية المتطلعة إلى العويل والبكاء حزنا على مغادرة الديار، ومفارقة الأحباب، وقد سبقت الإشارة إلى بغضه السّفرَ وترك الديار، وإن كثرت المغريات، في حديثه لزوجه حين حثته على الرحيل إلى المدينة وبيع دوابه وطلب العطاء (٩٥) .

وإذا كان دأب الغريب الخوف من المستقبل المجهول، فقد شاعت في أبيات جبيهاء ألفاظ وعبارات تحمل هذا المعنى، كقوله : راعت – تروع – غولية – زعزوع – تنجو إذا نجدت – للريح بين فروعه ترجيع .

وفي قصيدة أخرى يسيطر عليه الغضب ممن أساء إليه واستحقره، فتأتي صوره الجزئية مشتملة على ما يرفع من قدره، ويطعن في مكانة خصمه، فيقول (٩٦) : ـ [البسيط]

واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِـيَ تعتَـلُّ الأَكاذيـبُ

ففي قوله " واعدني " و " أخلفني " و " وما لمثلي تعتل الأكاذيب " مستعينا في ذلك بأسلوب الأمر في قوله : " سل عنه " نظرة تتسم بالتعالي والترفع، فكأني به يقول لخصمه : كيف تخلف وعدك معي ؟ وكيف تجرؤ على تكلف الأكاذيب معي، وعلي ؟ وأنا صاحب المكانة .

وبلهجة يسيطر عليها الترفع والكبرياء يأمر متلقي الأبيات – وإن كان صاحب الكبش – بسؤال الهوام والجوارح عما حاق بالفريسة، على سبيل السخرية منه، ورغبة في إظهار ضعفه وتوكيده، فيقول : ـ [البسيط]

---

(٩٥) سبقت الإشارة إلى الخبر في ص ٨ .

(٩٦) سبق ذكر القصيدة في ص ١٥.

سَـل عَنـهُ أَرخمَـةً بيضـاً وَأغربَـةً سـوداً لَهُـنَّ حَنَـى أَطمَـى سَلاهِيـبُ

ولعلّ حسن اختيار الشاعر ألفاظَه من عوامل نجاحه في تصويره، إذ " يتوقف نجاح الكاتب في الوصف على الألفاظ التي ينتقيها . " (٩٧) فقد تبث الألفاظ بدلالاتها، وحسن اختيار الشاعر موضعها في النص، وأثرها في الصورة ،تبث في نفس المتلقي معاني وأحاسيس لها أثر بالغ الأهمية، فحين يلجأ المبدع إلى ألفاظ ذات دلالات صوتية مؤثرة يمسك المتلقي بتلابيب أفكار طريفة، وهو نهج يدركه قارئ قول جبيهاء عن ناقته، وقد حنت إلى رضيعها بعد إقصاء الحالب إياه(٩٨) : [الطويل]

فَدَرَّت مَرّياً حالِبَيهـا وَأَرزَمَـت إِلَـى حسٍّ مَعـذومٍ عَـنِ الضَّـرعِ فاتِـرِ

فقوله " أرزمت " أي حنت، فأخرجت صوتا من حلقها لا تفتح به فاها، وكان اختيار الشاعر لهذه اللفظة دون غيرها متلائما والصورة الصوتية التي يرنو إليها، وزاد ثقل الكلمة في الأذن وعلى لسان المتلفظ بها، وكثرة حروفها من إيضاح الصورة السمعية وتوكيدها، والمتمثلة في : ـ

١ – شده حنين الناقة وحزنها على فراق وليدها، مما يدل على كرم أصلها، وعراقة محتدها، فخير الدواب أشدها وأكثرها حنينا .

٢ – وفي التضحية بالرضيع وعدم الالتفات إلى حزن الناقة وشدة حنينها تأكيد كرم الرجل وقومه، فإقراء ضيفهم مقدم على ما سواه ،حتّى إن تعرض وليد الناقة للهلاك، وهو ذخر العشيرة، وطُعمة الأطفال في قادم الأيام .

---

(٩٧) الإنشاء الواضح ، علي رضا، صـ ١١، ط . دار الشرق – بيروت، ط . السابعة .

(٩٨) البيت من قصيدة مطلعها :[الطويل]وَأَحنَفَ مُسترَخِي العَلابِيَّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ وسبق ذكرها في صـ١٧ .

٣ - قوة بنيان المحلوبة ومتانته، فإخراج الصوت دون فتح الفم يقتضي القوة الجسدية .

ويمد الشاعر الصور بما يؤكد حسن اختياره ألفاظه وعباراته، وأعني الاعتماد على موسيقى العبارة وإيقاعها، مما يعكس أصالة موهبته، وتمكنه من أدوات فنه، فـ " العبارة الموسيقية يكتمل بها تأثير الصورة في الوجدان بما تحدثه من روعة الإيقاع والجرس ... ولا يشك أحد في أن الموسيقى لغةُ العواطف والوجدان، ولنغماتها درجات من الشدة أو الضعف، واللين أو القوة، والسرعة أو البطء، ونحو ذلك من الصفات التي تصحبها آثار وجدانية وألوان عاطفية من نشاط أو فتور، وحزن أو سرور، وثبات أو اضطراب، إلى غير ذلك من أنواع اليقظة النفسية التي تجيء عن طريق حاسة السمع. " [٩٩] وهي حقيقة أدركها جبيهاء، وحرص عليها في غير موضع من صوره، وبدت أكثر وضوحا في قوله [١٠٠] : ـ" راعت فؤادك والربوع تروع "، و " يشفي الصداع فيذهل المرفوع "، و " للريح بين فروعه ترجيع "، وقوله [١٠١] : " طاوي الحشا ذرب الأنياب مذبوب "، و " كل حي إذا ما مات مندوب ".

---

(٩٩) الصورة الأدبية في القرآن الكريم د . صلاح الدين عبد التواب، صـ ٢٦، ط . الشركة المصرية العالمية للنشر، ط . الأولى سنة ١٩٩٥ م

(١٠٠) العبارات من قصيدة مطلعها :[الكامل]. أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ وذكرت في صـ ١٢ .

(١٠١) من قصيدة مطلعها :[البسيط] واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِيَ تعتَـلُّ الأَكـاذيبُ وسبقت الإشارة إليها في صـ ١٥ .

وموسيقى العبارة مستمدة من حسن اختيار الشاعر للبحر، فكان اعتماد جبيهاء على بحور ذات سمات خاصة عاملا رئيسا ومؤثرا في الصورتين الجزئية والكلية، ففي قصيدة مطلعها [١٠٢] : [الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبُوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبُوعُ تَروعُ

يلجأ الشاعر إلى بحر الكامل، وهو من البحور ذوات التفعيلة الواحدة، والمقاطع الطويلة، وتكرار التفعيلة الواحدة يكسب العبارة لونا من النغم. وللإيقاع أثره في المعنى، وهو ما يتناسب وآهات الغريب وأنّاته، وفي طول التفعيلة وتكرارها إيحاء بعظم الخطب، وهو رحيل الأحباب وخراب الديار، وجلال المتسلى به، الناقة، من آلام الغربة وأوجاع الحنين.

وحسن اختيار الشاعر لألفاظه وعباراته يقتضي حسن الصياغة وتجنب الزلات الأسلوبية واللغوية، وهو أمر زلت فيه قدم جبيهاء في غير موضع، كقوله [١٠٣] : [الكامل]

بِأَمَقَّ أَغبَرَ يَلتَقي حَنَّانَهُ لِلرِّيحِ بَينَ فُروعِهِ تَرجيعُ

فصوت الريح يكون في داخل الأودية والشعاب، وليس بينها، فما بينها إلا بقايا وأطراف الجبال والهضاب، وهي مواضع لا تسمع فيها ولولة الريح، وكان الأولى أن يقول : " للريح في فروعه ترجيع " .

---

(١٠٢) سبق ذكرها في صـ ١٢ .

(١٠٣) من قصيدة مطلعها : [الكامل] أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ وسبق ذكرها في صـ ١٢.

ومن الظواهر الأسلوبية الجديرة بالتأمل والدراسة ؛ لأثرها الواضح في تشكيل الصورة :

١ - الاستعانة بالاستفهام في استفتاح بعض قصائده، كقوله [١٠٤] : - [الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبُوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبُوعُ تَروعُ

وقوله [١٠٥] : [الطويل]

أَمَولَى بَنِي تَيمٍ أَلَستَ مُؤَدياً مَنيحَتَنا فِيمَا تُؤَدَّى المَنَائِحُ

وقد ينير الاستهلال بالاستفهام " النص، ويفتح مغاليقه، ويكشف عما يعتمل بأعماق الشاعر في حدود يشفّ عنها الوعي والجمال الشعري . " [١٠٦]

٢ - كثرة الالتفات من التكلم إلى الخطاب إلى الغيبة، أو العكس، وهو أسلوب درج عليه جبيهاء في غير موضع من صوره، كقوله [١٠٧] : - [البسيط]

واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِيَ تعتَلُّ الأَكاذيبُ

يا لَيتَ كَبشَكَ يا مُوسَى يُصادِفُهُ بَينَ الكُراعِ وَبَينَ الوَجنَةِ الذيبُ

أَمسَى بِذِي الغُصنِ أَو أَمسَى بِذِي سَلَمٍ فَقَحَّمَتهُ إِلَى أَبياتِكَ اللُّوبُ

وقوله [١٠٨] : [الكامل]

---

(١٠٤) ذكرت في صـ ١٢.

(١٠٥) ذكرت في صـ ٨ .

(١٠٦) الصّورة السّمعيّة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. صاحب خليل إبراهيم، صـ ٢٩، ط . منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سنة ٢٠٠٠ م.

(١٠٧) سبق ذكرها في صـ ١٥.

(١٠٨) سبق ذكرها في صـ ١٢ .

أَمِنَ الجَميعِ بِـذِي البِقَـاعِ رُبُـوعُ رَاعَـت فُـؤادَكَ وَالرُّبُـوعُ تَـروعُ
جَوَّالَـةٌ بِرُبَـى المَـلا غَـولِيَّـةٌ بِرغـامِهِـنَّ مريـةٌ زُعـزوعُ
يَـا صَاحِبَـيَّ أَلا ارفَعانِـي إِنَّـهُ يَشـفِي الصُّـداعَ فَيَذهَـلُ المَرفـوعُ
أَلـوَاحُ ناجِيَـةٍ كَـأَنَّ تَليلَهـا جِـذعٌ تُطيـفُ بِـهِ الرُّقـاةُ مَنيـعُ

وكثرة الالتفات توحي بمحاولات الشاعر جذب المتلقي حاضرا وغائبا، ومشاركته المتحدث في المشاعر والمواقف، وقد توحي باستغراق الشاعر في الحدث، وتصارع المعاني والأفكار في نفسه، وهي حالة لا إرادية يتسم بها بعضهم، فـ " الشاعر يكون في إحدى الصور فإذا به يلتفت فجأة، فيقف ليصور جزئية من جزئياتها " (١٠٩).

٣ - وتُعدّ استعانة الشاعر بالأسلوب القصصي من الظواهر الجديرة بالدرس والتأمل، فالاعتماد عليه يكسب " العواطف الذاتية مظهر الموضوعية " (١١٠) وهو سبيل حاول الشاعر السير على دربه، مستعينا بقصص خيالية، وأخرى واقعية (١١١)

وإدراك جبيهاء أهمية الأسلوب القصصي، وأثره في المعنى ينمّ عن موهبة شعرية، وامتلاك أدوات فنه التصويري، ومقدرة على الاستعانة بكل ذلك في الموضع المناسب، فـ " في القصة مجال فسيح لتصوير واقع الحياة، فهي تعبر عن مفاهيم الناس وآرائهم في حياتهم التي يحيونها والآلام التي يعانونها، والأفراح التي ينعمون بها،

(١٠٩) التفسير النفسي للأدب د . عز الدين إسماعيل، صـ ٩٤ ، ط . دار العودة – بيروت .

(١١٠) النقد الأدبي الحديث د . محمد غنيمي هلال صـ ٤٥٤، ط . دار العودة . بيروت سنة ١٩٧٣ م

(١١١) كما في قصيدة مطلعها : [البسيط] واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِيَ تعتَلُّ الأَكاذيبُ
وسبق ذكرها في صـ ١٢ .
وفي أخرى مطلعها :[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ
وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

والآمال التي يتطلعون إليها... والاجتذاب أبرز ما يجب أن تتصف به القصة، وذلك باستثارة المشاعر، وتصوير العواطف الحية وصدق الملاحظة، وبراعة الأداء .... وتفهم الفكرة التي يرمي إليها الكاتب " [١١٢].

ثانيا : الخيال : كان للخيال دور بارز في تشكيل صور جبيهاء، متأثرا بموهبته، وقدراته الإبداعية، وثقافته، وحالته النفسية، والأحداث المعاصرة له، وتمكنه من أدوات فنه، وحسن توظيفها في الوصول إلى أخيلة طريفة .

وينعكس أثر خيال الرجل على صوره الشعرية قوة وضعفا، فيدرك المتأمل فيها السمات الآتية : ـ

❖ القدرة على الوصول إلى صور طريفة تنهض بمراد المبدع، وتنال إعجاب المتلقي، وأثر الخيال فيها واضح، ومتى تحققت هذه الأمور في عمل نال الإعجاب والقبول، إذ ينبغي على النتاج الشعري أن يعكس " قدرة الشاعر على تشكيل الصورة في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاها . " [١١٣] ويثير في النفس مشاعر متباينة، وفي العقل معاني طريفة، فتعم الفائدة، فـ " دقة التصوير وروعته في إثارته الحواس المختلفة، والعواطف المتباينة، مما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان . " [١١٤] وهي غايات يدركها المتلقي لغير صورة من صور جبيهاء، فما أجمل الخيال وأدقّه في قوله [١١٥] : ـ [الكامل]

---

(١١٢) الإنشاء الواضح، علي رضا صـ ٨٢ .

(١١٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د . جابر عصفور، صـ ٧، ط . المركز الثقافي العربي – بيروت، ط . الثالثة سنة ١٩٩٢ م .

(١١٤) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، د . صلاح الدين عبد التواب صـ ٤٣ .

(١١٥) من قصيدة مطلعها : [الكامل] أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤَادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ

=

فِـي كُـلِّ مُطَّـرِدِ الدُّفـاقِ كَأَنَّـهُ نَسـرٌ يُرَنِّـقُ حَـانَ مِنـهُ وُقـوعُ

وقوله [١١٦] : [الطويل]

وَأَضـحَى بِأَجـوازِ الفَـلاةِ كَأَنَّمـا يُقَلِّـبُ ثَـوبَيـهِ قَـوادِمُ طائِـرِ

وقوله [١١٧] : [البسيط]

فَبـاتَ يَنظُـرُهُ حَـرَّانَ مُنطَوِيـاً كَأَنَّـهُ طالِـبٌ لِلـوترِ مَكـروبُ

وَقـامَ يَشتَـدُّ حَتَّـى نَـالَ غِرَّتَـهُ طَـاوِي الحَشَـا ذَرِب الأَنيـابِ مَذبـوبُ

يَردينَ رَدي العَـذَارَى حَولَ دمنَتِهِ كَمَا يَطُوفُ عَلَى الحَوضِ المَعاقِيبُ

وهي أخيلة أثارت في النفس معاني، ومتعة، وساهمت بشكل واضح في توكيد مراد المبدع وتوضيحه.

❖ حسن اختيار الصور البيانية، والدقة في الاستعانة بها في موضعها المناسب، مما ينمّ عن إلمام واضح بقيمتها وأثرها وحسن صياغتها واستخدامها.

وللتشبيه في حديث جبيهاء أفنان، حيث الحرص على التنوع بين القريب المقبول والبعيد المعتمد على محاولات الإبداع، والتماس الصلة والعلاقة، وعلى الاستعانة بالتشبيه البليغ وغيره، واستخدام أدواته المتعددة كالكاف، وكأن، وغيرهما.

فمن تشبيهاته القريبة المقبولة قوله عن ناقته [١١٨] : ـ [الكامل]

=

وسبق ذكرها في صـ ١٢ .

(١١٦) البيت من قصيدة مطلعها :[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

(١١٧) من قصيدة مطلعها : .[البسيط] واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِيَ تعتَلُّ الأَكاذيبُ وذكرت في صـ ١٥ .

أَلــوَاحُ ناجِيَــةٍ كَــأَنَّ تَليلَهــا جِــذعٌ تُطيــفُ بِــهِ الرُّقــاةُ مَنيــعُ

فتشبيه عنق الناقة بجذع الشجرة أو النخلة في القوة والصلابة أمر قريب الإدراك مشهور، لا يجد الذهن في الوصول إليه مشقة ولا تعب، ومع هذا لا تمل النفس من مطالعته " إذ " للتشبيه أثر عظيم في التعبير عن المعاني، ونقل الأفكار وإمتاع النفوس بالصور والأخيلة، وتقريب الكلام إلى الأذهان والسموّ به من أرض الواقع الى فضاء الخيال (١١٩)

ومن تشبيهاته البعيدة (١٢٠) : [الكامل]

فِــي كُــلِّ مُطَّــرِدِ الدُّفــاقِ كَأَنَّــهُ نَسـرٌ يُرَنِّــقُ حَــانَ مِنــهُ وُقــوعُ

يشبه الشاعر ذئبا يترنح في مشيته بسبب الجوع والحسرة على فريسة تمكنت من الهروب منه بهيئة نسر كُسر جناحه فهو يترنح في أثناء سقوطه .

وهي صورة بعيدة تعتمد على صلة وعلاقة ضعيفة، هي الاعوجاج وتجنب الخط المستقيم، وبُعد التشبيه في الصورة زاد من روعتها وجمالها، فـ " إذا استقريت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت النفوس أعجب" (١٢١).

=

(١١٨) من قصيدة مطلعها :[الكامل] أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ وسبق ذكرها في ص١٢ .

(١١٩) علم أساليب البيان: د. غازي يموت صـ ١٨٣، ط . دار الأصالة – بيروت، ط . الأولى سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(١٢٠) من قصيدة مطلعها : . [الكامل] أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ وسبق ذكرها في صـ ١٢ .

(١٢١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني صـ ١٣٠ ، ط . دار المدني، ط . الأولى سنة ١٩٩١م، ت . محمود شاكر ..

وقريب من هذا قوله [١٢٢] : [الطويل]

مُحَجّـلِ أَوسـاطِ الغَراميـلِ رُكِّبَـت أَنـابيبُـهُ فِـي صُـرَّةٍ ذاتِ ساتِـرِ
كَظَبيِ القَنيصِ قـارَبوا فَـوقَ رَأسِـهِ وَأَوصالِـهِ فِـي مُكنبـاتِ المَرائِـرِ

وأفادت الاستعارة التشخيص في قوله [١٢٣] : [الطويل]

فَمَا رَامَ حَتَّى مَسَّتِ الشَّمسُ جِلدَهُ وَلانَت عَلَى الحَافِي رُؤوس الحَزاوِرِ

وللتشخيص فوائد، حيث أفاد تعاطف الجماد مع البائس المسكين، فتحولت الحجارة الصماء والصخور الصلداء إلى شخص رحيم لين مع الحافي، فنام قرير العين.

والتشخيص هدف للاستعارة، وهو ملكة " تستمد قدرتها من سعة الشعور حينا، أو من دقة الشعور حينا آخر، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرض والسموات من الأجسام والمعاني، فإذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة، والشعور الدقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر، ويهتز لكل هامسة ولامسة فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير وتوقظه تلك اليقظة، وهي هامدة جامدة صفر من العاطفة خلو من الإرادة " [١٢٤]

---

(١٢٢) من قصيدة مطلعها :[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيَّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ
وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

(١٢٣) من قصيدة مطلعها : . [الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيَّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ
وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

(١٢٤) ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، صـ ٣٠٥، ط . دار الكتاب العربي – لبنان، ط . السادسة سنة ١٩٦٧ م .

وفي قوله " الحافي " كناية عن الراكب البائس الفقير، صاحب المعاناة من أهوال السفر ومشاقه، وهي صورة تجذب عطف المتلقي على " الحافي " وإعجابه وإكباره للشاعر وعشيرته أهل الكرم والجود، وغوث الملهوف، ونجدة من عضه الفقر وطول السفر، ونوائب الدهر .

والكناية " من الصور الأدبية اللطيفة التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها " (١٢٥)

❖ التكلف في بعض صوره، حيث زلت قدمه فساق أوصافا تجافي المنطق، وأخرى ينفر الذوق منها اشمئزازا ؛ ولعل السبب هو عدم تنقيحه لنتاجه بإعادة النظر فيه، ومن هذا القبيل قوله (١٢٦) : ـ [البسيط]

واعَدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِي وَما لِمِثلِـيَ تعتَـلُّ الأَكـاذيبُ

يقع في نفس متلقي الأبيات : ـ أين الرقباء ؟ ورجال الحي من الذئب المتربص بأنعامهم ؟ ومن الضجيج المنبعث من المفترَس عندما ظفر المفترِس به ؟ ومن سباع الطير وهي تتسابق وتتصارع على بقايا الكبش ؟

غير أن خيالية الصورة، وهدفها، ومحاولة ابتكار الشاعر لها قد يدفع عنها هذه الشبهة، إذ " ليس من الضروري أن يكون عالم الفكرة مطابقا لعالم الواقع، أو أن يكون الذاتي تكرارا للموضوعي، بل الغالب أن يكون للذاتي واقعيته الخاصة –

(١٢٥) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، د . صلاح الدين عبد التواب، صـ ٦٨ .

(١٢٦) سبق ذكر القصيدة في صـ ١٥ .

وعندئذ – وحينما يحاول الشاعر أن يصنع من البعد الذاتي بعدا موضوعيّا من خلال الصورة المحسوسة يبدو هذا الواقع الجديد مغايرا للواقع العياني المرصود " [١٢٧].

وتنهض غاية الشاعر، ومناسبة النص بتأكيد هذه الرؤية، فالمقام مقام هجاء، ومحاولة إظهار ضعف المهجو، وهوانه، فصارت أمواله فريسة سهلة المنال؛ ولهذا رنا المصور إلى بيان سهولة الواقعةويسرها.

❖ قوله [١٢٨] :[الطويل]

كِلا عَقَبَيه قَد تَشَعَّثَ رَأسُها مِنَ الضَّربِ فِي جَنبي ثفالٍ مُباشِرِ

إذ في البيت تكلف وتعليل بعيدان عن الواقع، فتشقق العقب يكون بسبب البرد، وتعاقب الأجواءواختلافها ودرجات الحرارة، ولا يشعثه ضرب المركوب.

❖ قوله [١٢٩] : [الطويل]

وَحَتَّى سَمِعنا خَشفَ بَيضاءَ جَعدَةٍ عَلَى قَدَمَي مُستَهدِفٍ مُتَقاصِرِ

ففي البيت خلل في دقة الملاحظة، حيث ذهب الجاحظ [١٣٠] إلى أن العرب كانت تتطاول في حلب الإبل وتتقاصر وتتقاعد في حلب الغنم، وأورد قول بعضهم في هذا السياق :[الطويل]

---

(١٢٧) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل صـ ٩٦.

(١٢٨) من قصيدة مطلعها : .[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ

وسبق ذكرها في صـ ١٧.

(١٢٩) من قصيدة مطلعها : [الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ

وسبق ذكرها في صـ ١٧.

(١٣٠) البيان والتبيين، جـ ١صـ ٢٤٨، ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. السابعة سنة ١٤١٨ = ١٩٩٨ م، =

تَـرَى حَالِـبَ المِعـزَى إِذَا صَـرَّ قَاعِـدًا وَحَـالِبُهُنَّ القَـائِمُ المُتَطَـاوِلُ

فَلِمَ يتقاصر حالب هذه الناقة ؟ أهي غفلة من المصور ؟ مما قد يطعن في حجم ناقته وضخامتها ، ويبطل ما سبق وأن تطرق إليه من وصف جسامتها وضخامتها ، أم أراد تصوير طول الحالب وبيانه؟ فالقوم أعزاء طوال القامة ، وكانوا يفتخرون بالطول ، فأعزاء الرجال طوالها .

❖ قوله [١٣١] :[الطويل]

فَمـا رَقَـدَ الولـدانُ حَتَّـى رَأَيتـه عَلَـى البَكـرِ يَمريـهِ بِسـاقٍ وَحافِـرِ

وصف المرزباني الصورة فقال :" سمى رجل الإنسان حافرا ، وقالوا : كل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه ." [١٣٢]

❖ ما أقبح التشبيه في قوله [١٣٣] : ـ[الطويل]

فَـأَقنَـعَ كَفَّيـهِ وَأَجنَـحَ صَـدرَه بِجَـرعٍ كَأَثبَـاجِ الزِّبَـابِ الزَّنابِـرِ

حيث صور شرب الضيف وتجرعه اللبن بالفئران العظام ، وما أبعد وجه الشبه دون علاقة ، ولو ضعيفة ، وما أقبح الصورة !

=

ت عبد السلام هارون .

(١٣١) من قصيدة مطلعها : .[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

(١٣٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله محمد المرزباني، صـ ٦٤، ط . المطبعة السلفية بالقاهرة .

(١٣٣) من قصيدة مطلعها :[الطويل] وَأَحنَفَ مُستَرخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَرِيضٍ وَحاضِرِ وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

❖ وقريب مما ذكر [١٣٤] : [الطويل]

فَما بَرِحَت سَجواءَ حَتَّى كَأَنَّما بِأَشرافِ مقراها مَواقِعُ طائِرِ

حيث شبه الرغوة الزائدة على جوانب الإناء بسلح الطائر على أطراف العش، وهو تشبيه ضعيف ومنفر؛ لكونه على خلاف ما أراد الشاعر ويشتهي، فالمقام مقام مدح، والغرض من الصورة الترغيب، وعدم مراعاة الدقة في اختيار المشهد أفاد التنفير، وإن تطلع المبدع إلى اللون والهيئة.

❖ انعكاس الملامح الشخصية للشاعر على صوره ففي قصيدة مطلعها [١٣٥] : [الكامل]

أَمِنَ الجَميعِ بِذِي البِقَاعِ رُبوعُ رَاعَت فُؤادَكَ وَالرُّبوعُ تَروعُ

يلمس المتلقي ملامح إنسان يفر من الاغتراب، ويرفض مغادرة وطنه، وإن كثرت المغريات، ومن هذا المنطلق يسيطر على صوره الجزئية ما يتناسب وملامحه الشخصية، كقوله : ـ " تنجو إذا نجدت " و " في كل مطرد الدفاق " و " عرسن دائرة الظهيرة " و " الحدق الكنين خشوع " .

وفي قوله : ـ " يشفي الصداع فيذهل المرفوع " تأثر بثقافة استقرت في نفسه واكتسبها من بيئته، ومجملها : ـ على المسافر أن يحمل معه في سفره من تراب بلده ما يساعده على التخلص من آلام غربته، ويشفيه من بعض الأمراض، يقول الجاحظ : ـ

---

(١٣٤) من قصيدة مطلعها :[الطويل] وَأَحنَفَ مُسترَخِي العَلابِيِّ طَوَّحَت بِهِ الأرض فِي بَادٍ عَريضٍ وَحاضِرِ وسبق ذكرها في صـ ١٧ .

(١٣٥) سبق ذكرها في صـ ١٢ .

" كانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع " [١٣٦].

وفي قصيدة مطلعها [١٣٧] :[البسيط]

واعَـدَنِي الكَبشَ مُوسَى ثُـمَّ أَخلَفَنِـي وَمـا لِمِثلِـيَ تعتَـلُّ الأَكـاذيـبُ

صورة لشخصية عدوانية، تتطلع إلى الشر، إذ من الممكن أن ينصرف حديثه عن الحيوان المنتظر (الممنوحة) إلى الذم أو الهجاء لمالكها، فيتتبع خياله صفاته المذمومة، غير أن خيال الرجل قد انصرف إلى صورة عدوانية يغلب عليها مظهر الدماء، والافتراس . وفي هذا انعكاس لشخصيته المؤثرة بوضوح في خياله، فـ " كل شاعر أصيل يستمد جذور خياله من اللاشعور الجماعي، والغريزي، أو الفردي، ويتسامى به " [١٣٨] وجبيهاء قد استمد هذه الصورة الدموية من اللاشعور الغريزي الكامن في نفسه، والقريب من قلبه .

---

(١٣٦) رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر، جـ ٢ صـ ٣٩٢ (رسالة الحنين إلى الأوطان)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ت . عبد السلام هارون .

(١٣٧) ذكرت في صـ ١٥ .

(١٣٨) النقد الأدبي الحديث، د . محمد غنيمي هلال صـ ٢٧٢ .

خاتمة

في أعقاب جولة مع صور جبيهاء الشعرية خرج البحث بعدد من النتائج، أبرزها : ـ

- جبيهاء من الشعراء المقلين، وسبب القلة راجع إلى ضياع معظم إبداعه ؛ لتبديه، ومجافاته الأحداث والأمصار، والرواة وأهل الاستشهاد .
- تشكيل الصورة الأدبية عند جبيهاء منطلق من باعث وصفي هو طريق إلى غاية أخرى، حيث استعان بالتصوير في الفخر بمناقبه، أو هجاء من أساء إليه، أو الخلاص من مشاعر مؤلمة سيطرت عليه .
- لبيئة الشاعر وثقافته أثر واضح في صوره الشعرية .
- سيطرت الغاية النفعية على صور الرجل الشعرية، فافتقد المتلقي في بعض صوره الغاية الجمالية التي قد يرنو إليها غير مبدع ومصور، فحديث جبيهاء، في صوره الشعرية، منصرف إلى ما في دوابه من منافع مادية كاللبن الغزير، واللحم والشحم الكثير، والقناعة بالمراعي قليلة العشب .
- تمكن الشاعر، في غير صورة من صوره، من اختيار أساليبه بدقة وعناية ؛ فأثرت في المعنى، وفي الصورتين الجزئية والكلية اللتين رنا إليهما المبدع، وأدركهما المتلقي بإعجاب .
- بدت قدرة جبيهاء واضحة في استيعاب صور طريفة نهضت بمراده، وكان سبيله إليها خيالا خصبا، ودقة ملاحظة، واقتدارا على الاستعانة بالصور البيانية بطريقة مؤثرة معنويّا ؛ فانعكست آثارها على المتلقي إعجابا بتلك الصور، وإقبالا عليها .
- تفتقر غير صورة من صور جبيهاء إلى الجودة والدقة ؛ والسبب راجع إلى افتقاده التنقيح وإعادة النظر في نتاجه .

المراجع

[١] ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ط . دار الكتاب العربي بيروت، ط . السادسة سنة ١٩٦٧ م .

[٢] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ط . دار المدني، ط . الأولى سنة ١٩٩١م .

[٣] الأعلام لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين، ط . ١٥ سنة ٢٠٠٢ م

[٤] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[٥] الإنشاء الواضح ، علي رضا، ط . دار الشرق – بيروت، ط . السابعة .

[٦] البيان والتبيين، للجاحظ، ط . مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط . السابعة سنة ١٤١٨ = ١٩٩٨ م، ت عبد السلام هارون .

[٧] التفسير النفسي للأدب، د . عز الدين إسماعيل، ط . دار العودة – بيروت .

[٨] الحماسة الشجرية، لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي، ط . منشورات وزارة الثقافة، دمشق سنة ١٩٧٠ م.

[٩] رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر (رسالة الحنين إلى الأوطان)، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

[١٠] سمط اللآلي، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م .

[١١] الصورة الأدبية في القرآن الكريم د . صلاح الدين عبد التواب، ط . الشركة المصرية العالمية للنشر، ط . الأولى سنة ١٩٩٥ م .

[١٢] الصّورة السّمعيّة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. صاحب خليل إبراهيم، ط . منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سنة ٢٠٠٠ م .

[١٣] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د . جابر عصفور، ط .المركز الثقافي العربي – بيروت، ط . الثالثة سنة ١٩٩٢ م

[١٤] علم أساليب البيان، د. غازي يموت، ط . دار الأصالة – بيروت، ط . الأولى سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

[١٥] كتاب الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، ط . الحلبي، ط . الثانية سنة ١٣٨٥ = ١٩٦٦ م .

[١٦] لسان العرب لابن منظور، ط . دار المعارف .

[١٧] المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ط . دار الجيل، بيروت، ط . الأولى سنة ١٤١١ه ـ= ١٩٩١ م .

[١٨] مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ط . وزارة الإعلام في الكويت (سلسلة التراث) سنة ١٩٨٤ م .

[١٩] المفضليات، للمفضل الضبي، ط . دار المعارف، ط . السادسة .

[٢٠] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله محمد المرزباني، صـ ٦٤، ط . المطبعة السلفية بالقاهرة .

[٢١] النقد الأدبي الحديث، د . محمد غنيمي هلال، ط . دار العودة ـ بيروت سنة ١٩٧٣ م .

[٢٢] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ط . مطبعة الجوائب – دمشق، ط. الأولى .

The aesthetic composition of the literary image in the poetry of the Ashjai Jubaiha

Dr . Adel Nasoura Mohammed Al – Tmsahi

Kingdom of Saudi Arabia ⁄ Majmaah University ⁄ Faculty of Education in Zulfi
Faculty of Arabic Language / Al Azhar university / Egypt

Research Objectives: Try to find a convincing answer to the following:

What is the effect of the environment and the psychological and cultural dimensions in it, and the extent of its ability and ability of the tools of his art, and what are the reasons behind the lack of its production, with its quality, and the fact that some described him as a malicious poet tongue?
Research Methodology: Technical Approach.
Search Plan : In the second topic, the features and functions of the poetic image in the jubilae, and in the third section critical reviews in the images of the poetic man, and in the conclusion The results of the study, then the indexes.
Results : The poet in the aesthetic composition of his literary image, the skill in the composition reflect the talent of poetry, the images of the jibiahs emerged goals and objectives, the impact of the environment of men in his literary clear, able to skillfully jibes to employ his artistic tools in the construction of impressive images, the reader to touch the man's hair innovative images and emotions Honestly, in some pictures of the man, he continued to recognize the beauty in it, and came to the taste.

key words : Formation / aesthetic / image / literary / poetry / Jbihaa / Ashjai